
www.ibtesamah.com/vb
الزواج
مسرحية
مجلة الابتسامة
للكاتب الإيرلندى
چورچ برنارد شو
ترجمة : عبد الحليم البشلاوى
مكتبة الفنون الدرامية
١٢
تصدرها
مكتبة مصر
يحررها
عبد الحليم البشلاوى
عصير الكتب
www.ibtesamah.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة
حصريات شهر إبريل 2020
www.ibtesamah.com/vb Prepared by me3refaty



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكر الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر إبريل 2020 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

مكتبة الفنون الدرامية

(١٢)

مكتبة الفنون الدرامية (١٢)



مسرحية أفكار

A PLAY OF IDEAS

للكاتب الأيرلندى
چورج برنارد شو

ترجمة
عبد الحليم البشلاوى

تصدرها
مكتبة مصر

يحررها
عبد الحليم البشلاوى

CETTING MARRIED

by

CEORGE BERNARD SHAW

مكتبة الفنون الدرامية

القصد من هذه المكتبة أن تسد ما بالمكتبة العربية من فراغ كبير . فهى تستهدف ترجمة روائع المسرحيات العالمية ، وكل ما يتصل بالفنون الدرامية والإذاعية من تمثيل وكتابة وإخراج . ولعل هذا هو أول مجهود منظم يبذل فى هذا السبيل .

صدر الكتاب الأول
فى أكتوبر ١٩٥٨

صدر من هذه المكتبة :

١ ــ الأحرار

للكاتب الأمريكى : سدنى كنجزلى

٢ ــ الرجل العجوز

للكاتب الروسى : ماكسيم جوركى

٣ ــ بيت الدمية

للكاتب النرويجى : هنريك إبسن

٤ ــ الينبوع

للكاتب الأمريكى : يوجين أونيل

٥ ــ قطة على سطح من الصفيح الساخن

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

٦ ــ الشائعة

للكاتب الإنجليزى : تشارلز مونرو

٧ ــ عيوب التأليف المسرحى

للناقد الأمريكى : وولتر كير

٨ ــ ثلاث تمثيليات للتليفزيون

للكاتب الأمريكى : بادى تشايفسكى

٩ ــ مسرحية فى القصر

للكاتب المجرى : فيرينك مولنار

١٠ ــ الأب ومس جوليا

للكاتب السويدى : أوجست ستريندبرج

١١ ــ صيف ودخان

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

١٢ ــ الزواج

للكاتب الأيرلندى : جورج برنارد شو

١٣ ــ الحارس

للكاتب الإنجليزى : هاروند بنتر

١٤ ــ ميراث الريح

للكاتبين الأمريكيين : جيروم لورنس وروبرت لى

١٥ ــ الاتصال بالجماهير

للكاتب الأمريكى : إريك بارنو

١٦ ــ البطة البرية

للكاتب النرويجى : هنريك إبسن

١٧ ــ الحضيض

للكاتب الروسى : ماكسيم جوركى

١٨ ــ السينما آلة وفن

للكاتب الأمريكى : ألبرت فولتون

١٩ ــ الابن الضال

للكاتب الأمريكى : جاك رتشاردسون

٢٠ ــ راشومون

للكاتب اليابانى : أكوتاجاوا

هذه المسرحية

بقلم : عبد الحليم البشلاوى

حقا ، ما أشد ما يحار المرء إذ يهم بالكتابة عن أثر من الآثار الأدبية التى خلفها جورج برناردشو !

كان عملاقا مخضرما ، وعبقريا تعددت جوانب عبقريته وتنوعت . كان أديبا ، ولغويا ، وكاتبا مسرحيا . وكان ناقدا مسرحيا ، وناقداً أدبيا ، وناقدا موسيقيا . كما كان صحفيا . ومصلحا اجتماعيا . ثم كان اشتراكيا ، بل هو من رواد الاشتراكية ومن دعاتها العاملين ، إذ هو من مؤسسى الجمعية الفابية المشهورة فى لندن *The Fabian Society* . وكان ذا باع ونفوذ وسطوة ، جريئا مرهوب الجانب . لا يخشى شيئا ولا يخشى أحدا . وكان حاضر الذهن ، سريع البديهة ، متوقد الذكاء .

ولد فى دبلن عام ١٨٥٦ ومات فى لندن عام ١٩٥٠ . أى أن أجله امتد واستطال إلى ما يقرب من قرن من الزمان . وهذه الحقيقة فى حد ذاتها هى سبب الحيرة التى لا بد أن تنتاب كل من يحاول الكتابة عن هذا العبقرى الخالد أو عن مؤلفاته .

وإذا كانت البينة على من أدعى ، فلنأخذ على سبيل المثال هذه المسرحية

التى نقدمها فى هذا الكتاب : مسرحية « الزواج » .

فهذه مسرحية كتبها صاحبها فى عام ١٩٠٨ ، أى منذ ما ينوف على نصف قرن . فإذا شئنا أن نزن هذه المسرحية بميزان النقد ، وجب أن نحكم عليها فى ضوء الظروف والأحوال التى كانت سائدة فى ذلك الحين : منذ ما ينوف على نصف قرن . فهذه مسرحية أفكار . عارية عن القصة . عارية عن الشخصية . عاجزة عن أن تهز نفس المشاهد أو تثير فيه الحماس والانفعال . لأنها تخاطب عقل المتفرج وذهنه وليس قلبه وعاطفته ، هى مسرحية تدور حول الزواج وتقاليده وقيوده ، وحول الطلاق وشروطه وحدوده . كل هذا كما كانت عليه الحال فى عام ١٩٠٨ . والحال اليوم من هذه الناحية غير ما كانت عليه عامئذ . فقد تغيرت قيود الزواج والطلاق وشروطهما فى بريطانيا أشد التغير . ولم تعد لمعظم هذه الآراء والأفكار من قيمة تذكر ، إلا القيمة التاريخية ، خرجت المرأة إلى ميدان العمل فتحررت من اعتمادها الاقتصادى على الرجل . ولم تبق للزواج قدسيته التى كانت له فيما مضى . وغدا الطلاق أسهل بكثير مما كان عليه من قبل . وخضعت قوانين الزواج والطلاق لتطورات شتى .

ورب سائل يسأل : وما دام الأمر كذلك . ففيم إذن كان اختيار هذه المسرحية ؟

والجواب هو أن اختيار هذه المسرحية بالذات من بين مسرحيات شو مرجعه إلى أسباب شتى :

١ — مهما يكن من تحقق ما نادى به شو من تغيير قوانين الزواج والطلاق ، فإن المبادئ التى كان يعتنقها شو ، تلك المبادئ التى دفعته إلى هذه المناداة ، هى التى جعلته يعالج مسرحية المناقشة أو مسرحية الأفكار ويصر

عليها فى معظم مسرحياته ، رغم علمه بأنها ليست النوع الذى يفضله رواد المسارح . ومن سوى شو يجرؤ على الإقدام على الإقدام على عمل كهذا ؟ نعم ، لا شك فى أن شو تلقى المشعل من يد إبسن ، ولكن إذا كان إبسن هو الشرارة ، فلا شك أبدا فى أن شو هو النار ذاتها . ولقد سبق أن قلنا فى مقدمة الترجمة العربية لـ « بيت الدمية »[١] : (.. ومن هذا نرى أن « المناقشة » عند إبسن أخذت مكان « الحل » عند من سبقوه من كتاب المسرح . ثم جاء من بعد إبسن كتاب جعلوا المناقشة تستغرق المسرحية بأكملها ، كما فعل برنارد شو فى مسرحيتى « الزواج » و « ورطة الطبيب » وغيرهما)

ويجدر بنا هنا أن نسجل رأيا للفيلسوف البريطانى المعروف « جود » الذى يرى أن شو لم يكن فى الحقيقة مهتما بالدرامة فى حد ذاتها بقدر ما كان مهتما باتخاذها وسيلة لنقل آرائه وفلسفته إلى السواد الأعظم من الناس . يقول جود (إن اهتمام شو منصب فوق كل شيء على الأخلاق والسياسة والفلسفة . فهو فى الواقع فيلسوف ، بنفس المعنى الذى كان به أفلاطون فيلسوفا . فيلسوف يتمتع ، كما كان أفلاطون يتمتع ، بموهبة درامية قوية . وهو يستخدم هذه الموهبة عامدا فى إبراز أفكاره عن الحياة الإنسانية وكيف ينبغى أن نحياها ، وعن الجماعات البشرية وكيف ينبغى أن تحكم ، وتقريب هذه الأفكار إلى الناس الذين لا يقبلون على قراءة كتب الفلسفة ، ويعرض عليهم هذه الأفكار بطريقة ممتعة ومذهلة بحيث أن من يشاهد المسرحيات يظل يتذكر هذه الأفكار ، إما لأنها سرته وإما لأنها صبدمته)[٢] .

---

(١) صدر بها الكتاب الثالث من « مكتبة الفنون الدرامية » .

(٢) كتاب *SHAW* لمؤلفه *C . E. M. JOAD* وناشره *VICTOR GOLLANCZ* بلندن .

ويقول شو عن نفسه : (ما أنا بكاتب مسرحى عادى . أنا متخصص فى المسرحيات المنافية للأخلاق والدين . وقد قامت شهرتى على صراعى الدائب لإرغام الجمهور على إعادة النظر فى مقاييسه الخلقية . أنا أكتب المسرحية مستهدفا عن عمد أن أجعل الأمة تتحول إلى اعتناق آرائى فى الأمور الجنسية والاجتماعية . وما من حافز آخر يحفزنى إلى كتابة المسرحيات . فأنا لا أعتمد عليها لكسب قوتى) .

ولعل هذا يفسر لنا المآخذ التى يأخذها النقاد على مسرحيات شو بوجه عام ، وأهمها : أولا : أن شخصياته لا تبدو طبيعية . وإنما هى تتكلم بلسان شو وتعبر عن آرائه . ثانيا : إن مسرحياته خالية من الفعل ***Action*** .

٢ ــ وهذه المآخذ تأتى بنا إلى السبب الثانى الذى من أجله اخترنا هذه المسرحية لشو . فبالرغم من أن مسرحية « الزواج » مسرحية مناقشة ، وبالرغم من أن بعض شخصياتها لا تبدو حقيقية ، وبالرغم من خلوها من الفعل ، إلا أنها مسرحية رائعة . رائعة من الناحية الدرامية ، لأن تنوع الشخصيات فيها وانفراد كل منها بمشكلة من نوع خاص ، وكون هذه المشاكل أجمع ترتبط بالمشكلة الرئيسية وتدور حول موضوع الزواج والطلاق ، وبراعة الحوار ، كل هذا يجعل منها مسرحية لا تقل فى روعتها ومتعتها عن المسرحية ذات الفعل . لقد اضطر شو بالطبع إلى أن يستعيض عن « الفعل » ببعض حوادث أو « مواقف » تتخلل المسرحية . وإذا بدت هذه الحوادث مفتعلة فى بعض الأحيان ، فإن هذا هو أقل ما يمكن عمله فى مسرحية المناقشة . وهى مسرحية رائعة من الناحية الفكرية ، لأن المؤلف ألم بأطراف الموضوع إلماما يشهد له بالفضل والعبقرية . وجهر بآرائه فى هذا الموضوع الحيوى الخطير دون حياء أو جبن ، بل بكل جرأة وشجاعة .

يقول الناقد الإنجليزى سير دزموند مكارثى بعد أن يشيد بهذه المسرحية ويعرب عن إعجابه بها : (الظن بمسرحيات المناقشة هذه أنها لا شكل لها ولا « قالب » . والبراعة التى ينى بها شو هذه المسرحيات قد خفيت عن الانظار . ومبررات هذا النوع من الدرامة هى أنه ييسر للكاتب أن يتناول قدرا من جوانب موضوع جسيم ، جسامة لا يستطيع معها الكاتب أن يعالجه فى مدى ثلاث ساعات إذا اعتمد على الفعل وحده . فلمسرحية المناقشة قالبها الخاص ، قالب مختلف . وشو أستاذ فيه)[١]

٣ — وتنفرد هذه المسرحية بميزة أخرى دون سائر مسرحيات شو . فمع أنها مسرحية طويلة يستغرق أداؤها ثلاث ساعات ، إلا أنها تدور فى فصل واحد و منظر واحد لا يتغير ولا ينزل الستار إلا فى نهاية المسرحية . ومن الغريب أن يكون هذا المنظر هو مطبخ بيت الأسقف . يقول شو فى ملاحظة صدر بها هذه المسرحية : (ستلاحظ فى هذه المسرحية نقطة على شيء من الأهمية الفنية . فأنا لم ألجأ إلى التقسيم المعتاد إلى فصول ومشاهد ، ورجعت إلى وحدتى الزمان والمكان كما تراهما فى الدرامة اليونانية القديمة . فالمأساة السابقة « ورطة الطبيب »[٢] ذات خمسة فصول . ومكانها يتغير خمس مرات . وزمانها يمتد إلى فترة غير محددة تنوف على عام . ولا شك فى أن هذا يقتضي من انتباه المتفرجين ومن براعة الكاتب مجهودا أقل بكثير . ولكننى أرى من تجاربى أن القالب اليونانى لا مفر منه عندما تبلغ الدرامة نقطة معينة فى

---

(١) كتاب *SHAW* لمؤلفه *SIR DESMOND MACCARTHY* وناشرة *MACGIBBON & KEE* بلندن .

(٢) ورد نص هذه المسرحية قبل مسرحية « الزواج » فى المجلد الإنجليزى الذى ترجمنا عنه .

التطور الشعرى والذهنى . فلم يكن استخدامى لهذا القالب استعـراضا متعمدا من جانبى للتفنن فى استخدام القوالب .. كل ما فى الأمر أن مسرحية أفكار انبعثت تلقائيا فى القالب الأنسب لها . ذلك القالب الذى اتضح أنه القالب الكلاسى . إن مسرحية « الزواج » فى عدة فصول ومشاهد . فى فترة زمانية طويلة . أمر مستحيل .

وهذا الشكل الدرامى لجأ إليه قبل شو الكاتب السويـدى أوجست سترندبرج فى مسرحيته « مس جوليا »[(١)] . ولكن تلك لم تكن مسرحية أفكار بل كانت مأساة طبيعية ذات فعل . بل فعل قوى عنيف . كما أن الكاتب السويدى اضطر إلى حشو مأساته هذه بالرقص والغناء فى أكثر من موضع مما يوحى بأنه استخدم الرقص والغناء فى مكان نزول الستار . ومعنى هذا أنه لم تكن ثمة ضرورة ملحة تلزمه باستخدام هذا الشكل الدرامى . كان سترندبرج يقوم بتجربة . أما مسرحية « الزواج » فالضرورة فيها ملحة . وهذا الشكل اليونانى القديم هو الشكل الأنسب كما يقول شو بحق . لأنها مسرحية أفكار . مسرحية مناقشة . الحوار فيها متصل . والجدال مستمر . وانقطاعهما كفيل بانقطاع الفائدة المرجوة منهما .

* * *

لهذه الأسباب مجتمعة اخترنا مسرحية « الزواج » نموذجا نقدمه لمسرحية الأفكار أو مسرحية المناقشة .

إلا أننا لا نستطيع أن نقف عند هذا الحد فى معرض الحديث عن أية

---

(١) نحيل القارئ إلى مقدمة الترجمة العربية لهذه المسرحية ، التى صدر بها الكتاب العاشر من « مكتبة الفنون الدرامية » .

مسرحية لبرنارد شو ، بل لا مفر من الحديث عن المقدمة ذلك أن شو يمهد لكل مسرحية بمقدمة منفصلة مطولة يسهب فيها فى الحديث عما تضمنته المسرحية من أفكار وآراء . وهذه المقدمات تكاد تكون مقالات وأبحاثا قائمة بذاتها . وهى دروس رائعة فى المذهب الاشتراكى ، إذ أن كل مقدمة تتناول ناحية بذاتها من نواحى مجتمعنا البشرى ، كالبغاء ، أو الطب والعلاج ، أو الزواج والطلاق . فإذا أنت قرأت هذه المقدمات جميعا . وما أكثرها وما أشد تنوعها ، فلا مفر من واحدة من اثنتين . إما أن تعتنق المذهب الاشتراكى . وإما أن تستثير فيك هذه المقدمات روح النقد فتجسم لك الآفات التى ينوء بها مجتمعنا ، وتكشف لك عن السوس الذى ينخر فى جذور البشرية .

هذه — على الأقل — هى التجربة الشخصية التى خرجت بها أنا من الانكباب على قراءة شو . على هذا الأساس ينبغى أن يكون فهمنا لهذا العبقرى الذى أنجبته دبلن وآوته لندن . فهو كاتب دسم . هو عملاق ، هو أسطورة من أساطير الحقيقة لا من أساطير الخيال . أراد أن يقلب كيان هذا المجتمع رأسا على عقب . وإذا لم يكن قد وفق إلى شىء من هذا . فما من أحد يمارى فى أن آراءه وأفكاره وجراءته قد وجدت طريقها إلى عقول الناس فى المشارق والمغارب ، وأسهمت بنصيب فيما نراه فى العالم اليوم من نقد للنظم البالية العتيقة وأخذ بالنظم التقدمية المستقبلية التى تستهدف رخاء عامة الناس قبل خاصتهم . يقول البروفسور فرانك هوايتنج مدير مسرح جامعة منيسوتا بالولايات المتحدة : (يتفق معظم النقاد على أن جورج برنارد شو ليس أعظم كاتب مسرحى فى العصر الحديث فحسب ، بل هو أعظم كتاب العصر الحديث على الإطلاق . وهو فى المسرح الإنجليزى لا يسبقه

إلا شيكسبير)[١] .

نعود إلى الحديث عن المقدمة التى كتبها شو لمسرحية الزواج فنقول إن هذه المقدمة تربو على المسرحية ذاتها طولا وعمقاً . وإذا كان قد تعذر علينا ترجمة هذه المقدمة بحذافيرها ، فليس أقل من أن نورد هنا ملخصا لها فنقول إنها تنحصر فى النقاط التالية :

١ ـــ إذا سلمنا بأن الزواج أمر حتمى لابد منه ، وأن قوانين الزواج والتقيد بها هى الأخرى أمر حتمى لابد منه ، كان لزاماً علينا أن نعمل على جعل الزواج أمراً معقولا ومستساغاً . فإذا فشل الزواج بعد ذلك ، لم يكن ثمة مفر من حله ، وذلك بتسهيل الطلاق . لأن تغيير الزوج زوجته أو العكس ، أمر مرغوب فيه .

٢ ـــ قوانين الزواج (فى عام ١٩٠٨) فى أشد الحاجة إلى الإصلاح . وإذا أردنا أن نصلح هذه القوانين ، وجب أولا وقبل كل شيء أن نحصى عدد السكان الحاليين حتى نستبين نسبة الإناث إلى الذكور ، وعلى أساس هذه النسبة نستطيع أن نصل إلى قرار بصدد عدد السكان الذين نريدهم فى بلدنا فى الحال أو الاستقبال .

٣ ـــ إن عدد الزوجات اللاتى يسمح بهن لزوج واحد ، مسألة لا تخضع للأخلاق أو التقاليد ، وإنما تتوقف على شيء واحد هو النسبة بين الجنسين فى نطاق السكان . فإذا نشبت حرب عظمى مثلا ، وأسفرت عن هلاك ثلاثة أرباع الرجال ، كان من الضرورى لحكومة بريطانيا أن تقتدى بالشريعة

---

(١) كتاب *AN INTRODUCTLON TO THE THEATRE* لمؤلفه *FRANK WHITING* وناشره *HARPER* بنيويورك .

الإسلامية فترخص للرجل بأن يتزوج أربع زوجات .

٤ — إن عدم السماح للمرأة بأن تخاطر بحياتها فى المعارك والحروب ، أمر مرجعه إلى الضرورة وليس إلى الشهامة الأخلاقية . ذلك أنه إذا هلك عدد كبير من النساء ، لم تكن ثمة مندوحة عن تدهور عدد السكان ، وبالتالى إصابة البلد بالخراب السياسى ، لأن المرأة ذات الأزواج المتعددين تنجب من الأطفال عددا أقل نسبيا مما تنجبه المرأة ذات الزوج الواحد . بينما يستطيع الرجل أن ينشىء من العائلات بقدر ما له من الزوجات .

٥ — ثمة نساء فضليات غير متزوجات ، على جانب كبير من الكفاءة والمهارة وقوة الشخصية ، يؤدين أعمالا تتصل بتربية الأولاد وتنشئتهن ، ولا يرغبن فى الزواج والتقيد بقيوده ، ولكنهن يرغبن مع ذلك فى الأمومة وإنجاب الأطفال[١] . فلماذا نفرض على امرأة كهذه أن تتخذ لها زوجا كثمن لإشباع غريزة الأمومة إذا لم تكن تريد الزواج ؟ ويجيب شو عن هذا السؤال بقوله : (هذا سؤال أعجز عن الإجابة عنه) .

٦ — لن يقوم الزواج على أساس سليم نظيف إلا إذا تحررت المرأة من عبوديتها الاقتصادية للرجل ، وكفت عن العيش عالة عليه ، وإلا إذا نظرنا إلى الأمومة والزوجية نظرتنا إلى أى وظيفة أخرى تقوم بها المرأة وتتقاضى عنها أجرا ، فلا نعتبر المرأة مجرد أداة للإنسال وتربية الأطفال .

٧ — إن أسوأ الزيجات ما كانت قائمة على الجنس وحده . أما أفضلها وأكثرها توفيقا فهى ما كان للجنس فيها أقل اعتبار ، وما كانت فيها العوامل الحاسمة لا علاقة لها بالجنس : كالمال . وتوافق الأذواق . وتشابه العادات ،

---

(١) رمز شو إلى هذا النوع من النساء بشخصية « لزيا » فى المسرحية .

والتكافؤ الاجتماعى :

* * *

هذه هى النقاط الأساسية التى يعرض لها شو فى المقدمة وفى المسرحية على السواء . وأنا على ثقة من أن بعض هذه النقاط — إن لم تكن كلها — سيكون مثار نفور أو استياء أو استنكار من بعض القراء . ولعل أشد ما يستثير الاستنكار فى نفس القارىء العربى نقطتان : الأولى هى تساؤل شو : لماذا نفرض على امرأة لا تريد الزواج أن تتخذ لها زوجا كثمن لإشباع غريزة الأمومة ؟ وقد رد شو على نفسه بقوله : (هذا سؤال أعجز عن الإجابة عنه) . ولكنه قال ذلك قبل الاهتداء إلى وسيلة التلقيح الصناعى . والثانية هى قول شو إن أفضل الزيجات وأكثرها توفيقا ما كان للجنس فيها أقل اعتبار . ولعل شو هنا يناقض نفسه ، لأن الجنس هو أهم العوامل التى تتدخل فى تخطيط السكان الذى ينادى به . كما أنه لا يسوق دليلا على رأيه هذا الذى نخالفه فيه كل المخالفة . وخير ما نرد به على شو هنا هو أن نستشهد بقول أديب بريطانى آخر هو د. هـ . لورنس : (لا تكون الحياة محتملة إلا عندما يكون العقل والجسد فى انسجام ، وعندما يكون بينهما توازن طبيعى ، وعندما يكنّ كل منهما احتراما طبيعيا للآخر) .

سيفهم القارىء من هذا الذى قلناه عن « شو » أنه كاتب جاد ، يتناول الموضوعات الجادة والخطيرة . والحق إنه كذلك ، ولكن الحق أيضاً أنه فى تناوله هذه الموضوعات ، وأنه فى كتاباته كلها — سواء أكانت درامية أم غيرها — يضفى على هذه الموضوعات جواً من المرح والفكاهة ، وتمتاز مسرحياته — ماعدا القليل منها مثل « سنت جون » — بالنكتة البارعة والموقف المضحك حتى ليظنه بعض الناس — مخطئين — مجرد كاتب فكاهى

لا يسعى إلا وراء النكتة لإضحاك الجماهير . وتلك إحدى الخصائص التى امتاز بها شو .

وبين يدينا مثال صادق على هذا « الازدواج » أو « التعمية » عند شو فى مسرحية « الزواج » .

* * *

بقيت كلمة أخيرة تتصل بعنوان المسرحية . فإن العنوان الإنجليزى هو *Getting Married* وترجمته الصحيحة هى « الاستعداد للزواج » . ولكننا آثرنا أن نقتصر على « الزواج » فحسب ، توخيا للسهولة ، مع علمنا بأن للكاتب الروسى « جوجول » مسرحية بهذا العنوان .

* * *

وبعد ..

فهذه مسرحية « الزواج » ، يسر « مكتبة الفنون الدرامية » أن تقدمها لقراء العربية عامة ، نموذجا رائعا لمسرحية الأفكار، نموذجا جديرا بالتحليل والدراسة .

يولية ١٩٦١ **عبد الحليم البشلاوى**

« أنا أعتقد أن الإمبراطورية البريطانية بأسرها ستعتنق نوعا معدلا من الإسلام قبل انتهاء القرن . إن شخصية محمد حبيبة إلى نفسى . فأنا معجب به ، وأشاطره آراءه فى الحياة إلى حد كبير » .

برنارد شو

على لسان هوتشكس

« الزواج فى حد ذاته أمر محتمل إذا أنت أخذت الأمور ببساطة و لم تتوقع من ورائه شيئا كثيرا . ولكنه أمر لا يصمد أمام التفكير . ولذا كان من المهم حمل الشباب على الارتباط برباط الزواج قبل أن يعرفوا حقيقة ما هم مقدمون عليه » .

برنارد شو

على لسان كولنر



الشخصيات

Mrs Bridgenorth	مسز بردجنورث
Collins	كولنز
The GeneraL	الجنرال
Lesbia	لزبيا
Reginald	رجنالد
Leo	ليو
The Bishop	الأسقف
Hotchkiss	هوتشكس
Sykes	سايكس
Edith	أيدث
Soames	سومز
The Beadle	حامل الصولجان
Mrs George	مسز جورج

المنظر

(صبح يوم جميل من أيام الربيع فى عام ١٩٠٨ . مطبخ على الطراز النورماندى فى قصر أسقف « تشلسى » . مطبخ شاسع ، نظيف ، أنيق ، صحى .

الأسقف رجل سعيد الحظ لحصوله على قصر بنى فى القرن الثانى عشر . والقصر نفسه سعيد الحظ لأنه لم يحول إلى طراز القرن الخامس عشر القوطى ، أو طراز القرن الثامن عشر المنحوت من الأحجار ، أو تتناوله بالتعديل يد بناء ومهندس من أبناء القرن التاسع عشر لهما شغف شديد بالعقود والأقواس التى تبدو فى طراز ذلك القرن ، وهو طراز أشبه بالمظلة . الرجل الذى يعيش الآن فى القصر ، واسمه غير الرسمى ألفريد بردجنورث ، يقدر الفن النورماندى . وقد استطاع ، بعد أن قدم شكاوى بارعة عن المكان وعدم توافر أسباب الراحة فيه ، أن يقنع أعضاء المجلس الكنسى بمنحه بعض المال لإنفاقه على القصر . وبهذا المال استطاع الأسقف أن يتخلص من الورق الذى كان يكسو الجدران ،

ومن الطلاء ، ومن الحواجز التى كانت تقسم الغرف ، ومن سائر الوسائل الأخرى التى لجأ إليها أسلافه النورمانديون لكى يشعروا بأنهم فى وطنهم وبأنهم يظفرون بالاحترام فى قلعة نورماندية . إنه بيت بنى ليبقى إلى الأبد . فالجدران وعروق الخشب من الكبر بحيث تحمل برج بابل ، كما لو كان من بنوه قد تنبأوا بأفكارنا الحديثة فراحوا يتحدونها بالغريزة مصممين على أن يظهروا مدى ما يستطيعون إسباغه من مواد على بيت بنى لتمجيد الله ، بدلا من مراعاة المزايا التى يتضمنها الأخذ بالعطاء الأرخص ، وبدلا من أن يحسبوا بطريقة علمية أقل المواد التى يمكن استخدامها للحيلولة دون أن يهوى البناء كله لثقله .

المطبخ هو الغرفة المفضلة لدى الأسقف.وما ذلك عن تواضع من الأسقف ، وإنما لأن المطبخ هو من أروع غرف البيت . وليس للأسقف الدخل أو الشهية اللذان يجعلانه يأمر بطهو طعامه فى المطبخ . النوافذ العالية فى الجدران تطل على الشمال والجنوب . النافذة الشمالية هى الكبرى . وإذا نظرنا إلى المطبخ من خلالها رأينا تجاهنا الجدار الجنوبى بما فيه من نوافذ على الطراز

النورماندى ، وبابا مفتوحا بالقرب من الركن إلى اليسار . ومن خلال هذا الباب نلمح الحديقة ، ونلمح كرسيا من كراسى الحدائق فى ضوء الشمس . فى الركن الأيمن مدخل يؤدى إلى غرفة دائرية ذات عقد وبها سلم حلزونى يؤدى من خلال برج إلى الطوابق العليا من القصر . فى الجدار إلى يميننا مدفأة ضخمة تبدو أسياخ الحديد التى تحمل الفحم فيها كأنها مهد طفل ، ومجموعة من الآلات النحاسية والحديدية القديمة يحسبها الناظر أدوات خاصة بالمدفأة ؛ والحقيقة هى أن الأسقف جمعها بين وقت وآخر من المحلات التى تبيع الأشياء القديمة . فى الطرف القريب للجدار الأيسر باب نورماندى صغير يؤدى إلى مكتب الأسقف الذى كان من قبل غرفة « كرار » . وعلى بعد قليل يبدو « بوريه »[١] كبير من البلوط يستند إلى الحائط . عبر وسط المطبخ مائدة خشبية كبيرة يحيط بها أحد عشر كرسيا ، أربعة منها إلى الجانب البعيد ، وثلاثة إلى الجانب القريب ، واثنان فى كل طرف . بجانب المدفأة كرسى كبير ظهره وجانباه ذوات

---

(١) *CHEST* وهى خزانه ثياب ذات أدراج لحفظ ملابس السيدات الداخلية وتكون ذوات علو منخفض

قضبان خشبية . على الأرض بساط من اللباد السميك . لا يوجد من الأثاث غير ذلك سوى ساعة حائط لها ميناء من الخشب فى حجم قعر طشت غسيل . الأثقال والسلاسل والبندول تتناسب مع الميناء فى الحجم . إلا أن الأسقف عدل عن محاولة تسيير الساعة منذ وقت طويل. الساعة معلقة فوق البوريه .

فى المطبخ الآن زوجة الأسقف ، مسز بردجنورث تتحدث إلى مستر وليام كولنز الخضرى[١] . هو فى ملابس السهرة مع أننا قبيل الظهر .

مسز بردجنورث سيدة هادئة ، تبدو سعيدة ، فى الخمسين أو نحوها ، وديعة ، رقيقة ، مرحة ، ذات قسمات مرهفة ، وشعر أشيب جميل . توحى ملابسها بأنها ذاهبة إلى حفل ، ولكنها تأخذ الأمور ببساطة وهى جالسة فى الكرسى الكبير بجانب المدفأة تقرأ صحيفة التايمز .

كولنز رجل مسن ذو خصر يوحى بالشباب . هو ودود ، ذو خصال كاملة

---

(١) هو الذى يبيع الخضر والفاكهة .

لا يكتسبها ألا رجل يدير حانوتا لبيع ضروريات الحياة لسيدات مراكزهن فى المجتمع راسخة بحيث لا يقلقهن أمرها . هو رجل يبعث على الاطمئنان ، ذو عينين يقظتين رماديتين ، يستطيع أن يقول لك أى شىء يريد دون أن يهينك ، لأن لهجته تنطوى دائما على الإيحاء بأنه إنما يفعل ذلك بعد استئذانك . ولكنه ليس دنيئا ، بل هو بالعكس شهم رحيم ، ولكنه لا يتحول أبدا عن الإقرار بالفوارق الاجتماعية . هو عند البوريه يحصى كوما من فوط السفرة .

(مسز بردجنورث تقرأ فى وداعة ورقة . كولنز يحصى . عصفور يغنى فى الحديقة . مسز بردجنورث تضع الصحيفة فى حجرها وتنظر إلى كولنز لحظة)

مسز بردجنورث : ألا تشعر أبدا بإنك عصبى فى هذه المناسبات يا كولنز ؟

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى . لا . إن ذلك لو حدث لكان أضحوكة بعد أن زوجت خمسا من بناتك . كيف أكون عصبيا عند تزويج الأخيرة منهن ؟

مسز بردجنورث : أنا دائما أقول إنك رجل مدهش يا كولنز .

كولنز : (**تكاد تحمر وجنتاه**) أوه .. سيدتى .

مسز بردجنورث : نعم . أنا لأ أستطيع أبدا أن أرتب أى شىء ، لا حفلة زفاف ولا حتى حفلة عشاء ، دون أن يكون فيها نقص ما .

كولنز : ولماذا تتعبين نفسك يا سيدتى ؟ اطلبى الخضرى . هذا هو سر تدبير المنزل بأسهل طريقة . بارك الله فيك يا سيدتى ، هذا هو عمله . فهو يستفيد وكذلك أنت ، فضلا عن السرور الذى يجده فى بيت كهذا (**تنحنى له مسز بردجنورث اعترافا بهذه المجاملة**) الناس يسخرون من الخضرى ، كما يسخرون من الحماة . ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوا بدونهما .

مسز بردجنورث : يا لها من رابطة تربط بيننا يا كولنز !

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى . توجد جميع أنواع الناس . أنت سيدة لطيفة المعشر جدا يا سيدتى ، خصوصا وأنت زوجة أسقف . لقد عرفت زوجات أساقفة يستفزون الإنسان حتى ليهم بصفعهن . ولكن ما من أحد ينسى نفسه ومركزه أبدا فى حضرتك يا سيدتى .

مسز بردجنورث : أنت مجامل يا كولنز . ستشرف بنفسك على مائدة الفطور كالعادة بطبيعة الحال ، أليس كذلك ؟

كولنز : نعم . نعم . بارك الله فيك يا سيدتى بطبيعة الحال . هذا ما أفعله دائما . إن هؤلاء المتعهدين المحدثين يعثون بأشخاص لم أر لهم مثيلا من قبل ، إذا رأيتهم

ظننتهم دوقات . ويصافحهم الأقرباء ويسألونهم عن العائلة . ولكن السيدات يتساءلن فى الحقيقة « أين التقينا من قبل ؟ » إلى غير ذلك من أنواع الارتباك . والبلبلة . هذا هو سر المهنة يا سيدتى . أنت تستطيعين دائما أن تميزينى كبائع الخضر . وذلك بالنسبة لى ثروة فى هذه الأيام التى يصعب فيها التمييز بين الأشخاص (**يخرج من البرج ويعود فى الحال للحظة ليعلن :**) الجنرال يا سيدتى .

(تنهض مسز بردجنورث لتستقبل أخا زوجها الذى يدخل متألقا فى زيه العسكرى الكامل وقد تحلى بكثير من الأوسمة والمداليات . جنرال بردجنورث رجل ضخم البدن فى الخمسين من عمره ، ذو خياشيم كبيرة شجاعة ، وفم حديدى ، وعينين مخلصتين كعينى الكلب ، وقدر كبير من بساطة الخلق والمهابة الطبيعيتين . وهو جاهل ، غبى ، يتحامل على الناس ، فقد تم تدربه بعناية ليكون كذلك . وليس من الميسور فى كل الأحوال احتماله والصبر عليه عندما تصبح نواياه التى لا شك فى طيبتها مصدر شر جدى . ولكن الأجدر باللوم على ذلك هو المجتمع وليس الجنرال نفسه . فلو كان الجنرال قد أتيحت له الفرص الاجتماعية التى أتيحت لكولنز لما كان أسوأ منه رجلا يتجه إلى المدفأة

حيث تقف مسز بردجنورث وظهرها إلى المدفأة)

مسز بردجنورث : صباح الخير يا بوكسر (**يتصافحان**) جئت تسلم ابنة أخرى من بنات أخيك . هذه هى الأخيرة .

الجنرال : (**فى تقطيب شديد**) نعم يا آليس . لا عمل للعسكرى المحارب العجوز إلا أن يسلم العرائس لرجال أسعد منه حظا .. هل .. (**يغص**) هل جاءت أختك ؟

مسز بردجنورث : لماذا تسمى لزبيا دائما أختى ؟ ألا تعلم أن هذا يغيظها أكثر مما تغيظها سائر حيللك ؟

الجنرال : حيلى ؟ ها ! سأحاول إذن أن أبتعد عن هذه الحيل . ولكننى أعتقد أنها لابد أن تتحملنى فى أمر بسيط كهذا ، فهى تعرف أن اسمها يقف فى حلقى . أفضل أن أسميها أختك على أن أحاول أن أسميها لـ .. (**يكاد يبكى**) على أن أحاول أن أسميها باسمها فأنفجر بالبكاء وأجعل من نفسى أضحوكة (**يجلس عند الطرف القريب من المائدة**) .

مسز بردجنورث : (**تذهب إليه لتهدئه**) أوه بوكسر ، لم نعد فى سن الصبا . وأنت لا تستطيع أن تحمل بين جنبيك قلبا كسيرا طول حياتك . لقد انقضى الآن ما يقرب من عشرين عاما منذ أن رفضت الزوج منك . وأنت تعلم أن ذلك لم يكن لأنها تكرهك ، وإنما لأنها لا تريد الزواج .

الجنرال : لا فائدة . ما زلت أحبها . ولا أستطيع أن أمنع نفسى

من أن أقول لها ذلك كلما التقينا ، ولو أننى أعلم أن ذلك يجعلها تتجنبنى . (**يكاد يبكى**) .

مسز بردجنورث : وماذا تقول هى عندما تخبرها بذلك ؟

الجنرال : تقول إنها تتساءل متى أتغلب على هذا الحب وأنا أدرك الآن أننى لن أتغلب عليه .

مسز بردجنورث : لعلك تتغلب عليه إن تزوجتها . ولكننى أعتقد أنك أحسن حالا كما أنت الآن يا بوكسر .

الجنرال : أنا رجل تعس . أنا فى الحقيقة آسف يا آليس لأن أكون رجلا سخيفا ثقيل الظل . ولكن عندما آتى إلى هذا البيت لحضور حفل زواج ، عندما آتى إلى هذه المناظر ، إلى .. إلى .. ذكريات الماضى ، دائما أسلم العروس إلى شخص آخر ، ولا تسلم لى عروسى أبدا ..(**ينهض فجأة**) هل أستأذن فى الذهاب إلى الحديقة لكى أدخن سيجارة تنسينى كل هذا ؟

مسز بردجنورث : اذهب يا بوكسر

(**يعود كولنز ومعه كعكة الزواج**)

مسز بردجنورث : آه .. هذه هى الكعكة . أعتقد أنها هى نفس الكعكة التى كانت فى زفاف فلورنس .

الجنرال : لا أطيق هذا (**يسرع خارجا من باب الحديقة**) .

كولنز : (**يضع الكعكة على المائدة**) انظرى إليها يا سيدتى . أليس غريبا بعد أن حضر الجنرال كل حفلات الزفاف هذه ، ألا يطيق رؤية كعكة الزواج حتى الآن ؟ يبدو

(الزواج)

أنها تصيبه دائما بنفس الصدمة .

مسز بردجنورث : هذه آخر صدمة له يا كولنز . لقد زوجت الأسرة كلها الآن يا كولنز .

(تتناول صحيفة التايمز ثانية وتعاود القراءة) .

كولنز : ما عدا أختك يا سيدتى . سيدة لطيفة جدا مس جرانثام . أنا أتوق إلى إعداد كعكة زواجها .

مسز بردجنورث : لن تتزوج يا كولنز .

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى ، كلهن يقلن هذا . أنت وأنا قلنا هذا . أنا قلت ذلك على أية حال .

مسز بردجنورث : لا .. زواجى تم بطريقة طبيعية . وكنت أظن أن هذا هو ما حدث لك .

كولنز : (**بتفكير**) لا يا سيدتى . لم يتم زواجى بطريقة طبيعية . كان طبيعيا بالنسبة لها ، فهى من ذلك النوع الذى قد تسمينه دجاجة عجوزا مواظبة . دائما تريد أن يكون أعضاء أسرتها على مرأى منها . لا تنام إلا إذا تأكدت أنهم جميعا فى أمان وأن الباب مغلق والنور مطفأ . دائما تريد متاعها معها فى العربة . دائما تسافر وتحصل من سائق القطار على وعد بأن يكون حذرا . لقد ولدت لتكون زوجة وأما يا سيدتى . وهذا هو الذى جعل جميع أولادى يهربون من البيت .

مسز بردجنورث : هل شعرت أبدا بالميل إلى الهرب يا كولنز ؟

كولنز : أوه نعم يا سيدتى . كثيرا . ولكن عند التنفيذ لم أكن

أجرؤ على إيلامها . إنها روح حساسة ، محبة ، قلقة .
وقد نشأت بحيث لا تعرف معنى الحرية لدى بعض
الناس . كل ما تعرفه عن الحياة هو حياة الأسرة . هى
أشبه ما تكون بعصفور ولد فى قفص ، يموت إن أنت
أطلقت سراحه فى الغابة . كنت كلما تصورت كم يكون
من السهل على رجل ذى مزاج معتدل مثلى أن يطيقها
ويتحملها ، وكم سيكون ألمها عميقا لظنها أننى لا أحبها ،
أرجىء الهرب دائما إلى المرة القادمة . وهكذا فى النهاية
لم أهرب أبدا . وإننى لأجرؤ على القول إن من الخير لى
أن ألقى مثل هذه العناية ، إلا أن ذلك عزلنى عن جميع
أصدقائى القدماء . أمر فظيع يا سيدتى . خصوصا
النساء منهن يا سيدتى ، فهى لم تترك لهن فرصة . أبدا .
لم تدرك أبدا أنه ينبغى على المتزوجين أن يأخذ كل زوج
إجازة من زوجته حتى تتجدد العلاقة بينهما . لا أعنى
أننى سئمتها يا سيدتى ، ولكننى كثيرا ما سئمت حياة
البيت . وغالبا ما كنت أحسد شقيقى جورج .

مسز بردجنورث : هل كان جورج أعزب عندئذ ؟

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى ، لا . لقد تزوج امرأة ذات قوام
بارع . ولكنها كانت من ذلك النوع المتقلب السريع
التأثر . لم يكن لها على نفسها أى سلطان إذا
أحبت . فهى عندئذ تظل مكتئبة يومين تبكى

لـلاشىء . ثم تنهض وتقـول « لابـد أن أذهب إليـــه ياجورج » ، دون أن تبالى إذا كان ذلك على مسمع من أحد . ثم تغادر بيتها وزوجها دون استئذان .

مسز بردجنورث : هل تريد أن تقول إنها فعلت ذلك أكثر من مرة ؟ وعادت فى كل مرة ؟

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى . لقد فعلت ذلك خمس مرات فيما أعلم . ثم عدل جورج عن إخبارنا بذلك بعد أن أصبح أمرا عاديا بالنسبة إليه .

مسز بردجنورث : ولكن هل كان يقبلها دائما عند ما تعود إليه ؟

كولنز : وما عساه يفعل يا سيدتى ؟ فى كل ثلاث مرات من أربع يعيدها الرجال فى نفس الليلة دون أن يحدث أى ضرر . وأحيانا أخرى يفرون منها . فما عسى يفعل أى رجل له قلب إلا أن يطمئنها عندما تعود وهى تبكى حسرة على الطريقة التى تملصوا بها منها عند ما ألقت بنفسها عليهم متظاهرين بأنهم أنبل مـن أن يقبلـوا التضحيـة التـى تقدمها . وقد أفهمها جورج مرارا أنها إذا بقيت فى البيت وتمالكت نفسها قليلا ، ارتموا على قدميها طول اليوم . وأخيرا عادت إلى صوابها وعملت بنصيحته . جورج يحب أن يغير رفاقه دائما .

مسز بردجنورث : يا لها من امرأة بشعة يا كولنز ! ألا تظن ذلك ؟

كولنز : (**كمن يصدر حكما**) هذا ما يظنه وما يقوله كثير من السيدات اللواتى يفضلن البقاء فى بيوتهن . ولكننى أقول

عن مسز جورج إن تنوع التجارب التى تمر بها جعلت منها شخصية طريفة جدا . وهذا هو ما يجعل المرأة المتقلبة تتفوق على المرأة المستقيمة يا سيدتى . انظـرى إلى زوجتى ! إنها لم تعرف أى رجل غيرى . وهـى لا تستطيع أن تعرفنى على حقيقتى لأنها لا تعرف رجلا غيرى لتقارن بينى وبينه . هى بالطبع تعرف والـديها كما .. كما يعرف أى شخص والديه . فهى لا تعرف شيئا عن نصف حياتهما ولا يخطر ببالها أنهما كانا صغيرين . وهى تعرف أولادها كأولاد ، ولم يخطر ببالها أبدا أنهم بشر مستقلون أحرار إلا بعد أن هربوا من البيت وظلت تبكيهم أسبوعا أو اثنين . أما مسز جورج فقد أصبحت الآن تعرف كثيرا عن الرجال من جميع الأنـواع والأعمار . فهى كلما تقدمت فى السن ازداد ميلها إلى الرجال الصغار السن ، وقد جعلها ذلك شخصية طريفة بكل تأكيد ، وأكسبها كثيراً من رجاحة العقل . ولطالما عملت بنصيحتها فى بعض الأمور التى لا تفيدنى فيها زوجتى .

مسز بردجنورث : لعلك لا تقول لزوجتك أنك تستقى نصائحك مـن مصدر آخر .

كوانز : بارك الله فيك يا سيدتى . أنا أحب زوجتى ما تيلدا أشد الحب ، إلى حد أننى لا أقول لها شيئا على الإطلاق خشية أن أسيئ إليها . إنها مستغرقة تماماً فى الأمومة والزوجية

بحيث لا تعتبر إنسانا ذا مسئولية أبدا خارج بيتها إلا عندما تخرج إلى السوق .

مسز بردجنورث : هل هى توافق على ما تفعله مسز جورج ؟

كولنز : أوه مسز جورج تستطيع أن تطويها . مسز جورج تستطيع أن تطوى أى شخص إن هى شاءت . ثم إن مسز جورج متدينة . كما أنها مطلعة على الغيب .

مسز بردجنورث : (**مندهشة**) مطلعة على الغيب !

كولنز : (**هادئاً**) نعم يا سيدتى ، نعم يكفى أن تنوميها قليلا فإذا بها تروح فى غيبوبة وتتفوه بأغرب الأشياء . لا عن نفسها ، ولكن كما لو كان الجنس البشرى بأسره يحدثك عن نفسه . أمر عجيب يا سيدتى أؤكد لك ، أمر عجيب . ما من شىء لا تعرفه مسز جورج .

(تدخل لزبيا جرانثام من باب البرج . هى فارعة الطول ، أنيقة ، نحيلة ، فى ريعان شبابها ، أى بين ٣٦ و ٥٥ . يبدو عليها حسن النشأة . وهى ترتدى ملابسها بعناية شديدة بحيث تترك هذا الأثر دون أن تهم أقل اهتمام بأخر الموضة . واثقة من نفسها . تزعج الشبان والخجولين ، صعبة المراس إلى أقصى حد . أميل إلى التسامح والابتهاج منها إلى العطف والإشفاق)

لزبيا : صباح الخير يا أختى الكبيرة العزيزة .

مسز بردجنورث : صباح الخير يا أختى الصغيرة العزيزة (**يتبادلان القبل**) .

لزبيا : صباح الخير يا كولنز . أنت تبدو فى صحة جيدة . وتبدو شابا (**تجذب الكرسى الأوسط بعيدا عن المائدة وتجلس**) .

كولنز : هذه هى عادتى بحكم المهنة فى حفلات الزفاف يا آنسة . لابد أن ترينى فى حفلات العشاء السياسية . عندئذ أبدو فى السبعين . (**ينظر إلى ساعته**) الوقت يأزف يا سيدتى . هل أبعث بكلمة بالنيابة عنك إلى مس إيدث لكى تسرع قليلا فى ارتداء ملابسها ؟

مسز بردجنورث : أفعل ياكولنز .

(**يخرج كولنز من باب البرج ويأخذ معه الكعكة**)

لزبيا : هذا هو كولنز العجوز ! هل روى لك قصصا هذا الصباح ؟

مسز بردجنورث : نعم . لقد فاتك سماع أحد اختراعاته المثيرة .

لزبيا : عن مسز جورج ؟

مسز بردجنورث : نعم . إنه يقول إنها مطلعة على الغيب .

لزبيا : أنا أتساءل : هل اخترع شخصية مسز جورج أم سرقها من أحد الكتب !

مسز بردجنورث : وأنا أيضا أتساءل !

لزبيا : أين الأسقف ؟

مسز بردجنورث : فى غرفة المكتب يؤلف كتابه الجديد ، ولا يفكر الآن فى زواج ابنته بقدر ما يفكر فى إفطاره .

(**يأتى الجنرال من الحديقة وقد هدأت أعصابه بعد**

(التدخين)

الجنرال : (فى لطف ورقة) آه لزبيا . كيف حالك ؟

(يتصافحان . يجلس على الكرسى إلى يمينها)

(تخرج مسز بردجنورث من باب البرج)

لزبيا : كيف حالك يا بوكسر ؟ أنت تبدو رائعا مثل كعكة الزفاف .

الجنرال : أنا أرتدى الزى العسكرى كلما حضرت أى حفل حتى يكون فى ذلك عظة لذوى الرتب الصغيرة . ليست تلك هى العادة فى إنجلترا ولكنها يجب أن تكون كذلك .

لزبيا : أنت تبدو رائعا جدا يا بوكسر . وكل هذه الأوسمة لا بد أن تكون دليلا على شجاعة خارقة .

الجنرال : لا يا لزبيا . إنها دليل على اليأس والجبن . لقد نلت الأوسمة الأولى لمحاولتى أن أموت . أنت تعرفين لماذا .

لزبيا : ولكنك قضيت حياة حافلة ؟

الجنرال : نعم ، حياة حافلة . كانت أسنة الرماح تنثنى على صدرى . ورصاص البنادق يخترق جسدى دون أن يترك أثرا . هذا هو أسوأ أنواع الرصاص الحديث . فأنا لم أصب أبدا برصاص دم دم . عندما كنت قائد سرية كان لى على الأقل الحق فى أن أعرض نفسى للموت فى الميدان . أما الآن وأنا جنرال فقد انقطع عنى هذا المورد (يسحب كرسيه فى إغراء بالقرب منها) اسمعى يا لزبيا . للمرة العاشرة والأخيرة ..

لزبيا : (**مقاطعة**) فى زفاف فلورنس منذ عامين قلت لى للمرة التاسعة والأخيرة .

الجنرال : نحن الآن أكبر عامين عما كنا يا لزبيا . أنا فى الخمسين ، وأنت ...

لزبيا : نعم أعرف . لا فائدة يا بوكسر . متى تبلغ من السن حدا تقبل فيه الرد بكلمة لا ؟

الجنرال : أبدا يا لزبيا أبدا . لم تقدمى لى حتى الآن سببا حقيقيا لرفضى . ظننت مرة أن هناك شخصا آخر . كان هناك كثيرون يحومون حولك . ولكنهم جميعا يئسوا منك وتزوجوا (**ينحنى ليزداد اقترابا منها**) لزبياصارحينى بسرك . لماذا ...

لزبيا : (**فى اشمئزاز**) أوه . كنت تدخن (**تقف وتتجه نحو الكرسى بقرب المدفأة**) ابتعد أيها التعس .

الجنرال : لولا هذا الغليون لما استطعت مواجهتك دون أن أبكى . فهو الذى يهدىء أعصابى .

لزبيا : (**تجلس وفى يدها صحيفة التايمز**) وقد هدأت أعصابك إلى درجة تجعلنى أقول لك لماذا سأصبح عانسا .

الجنرال : (**يقترب منها دون وعى**) **لا تقولى هذا يا لزبيا . ليس ذلك طبيعيا . ليس صوابا . إنه ..**

لزبيا : (**تبعده بيديها**) لا .. لا تقترب يا بوكسر ، أرجوك (**يتراجع**) قد لا يكون ذلك طبيعيا ، ولكنه مع ذلك يحدث . ستجد كثيرا من النساء أمثالى ، لو أنك

اهتممت بالبحث عنهن . نساء ذوات خلـق وجمال ومال ، لا يرغبن فى الزواج ولن يتزوجن . ألا تستطيع أن تخمن لماذا ؟

الجنرال : أستطيع أن أفهم عندما يوجد شخص آخر .

لزبيا : ولكن لا يوجد شخص آخر . ثم هل تظن أننى أبالى بالتفرقة بين رجل مهذب وآخر ، وأنا فى هذه المرحلة من حياتى ؟

الجنرال : للقلب حكمه واختياره يا لزبيا . إن صورة واحدة ، صورة واحدة وحيدة ، لا تمحى ..

لزبيا : أرجو المعذرة لمقاطعتك كثيرا بهذا الشكل . ولكـن مشاعرك وإحساساتك صادقة حتى إننى لأعرف دائما ما تريد أن تقول قبل أن تتم كلامك . ليس كل إنسان على شاكلتك يا بوكسر . أنت عاطفى أبله . لا ترى النساء على حقيقتهن . فأنت لا ترانى على حقيقتى . أما أنا فأرى الرجال الآن على حقيـقتهم . وأراك أنت على حقيقك .

الجنرال : (متمتما) لا . لا تقولى هذا يا لزبيا .

لزبيا : أنا عانس عجوز . أحب متاعى وممتلكاتى . أحب أن يكون لى بيتى الخاص ، وأن يكون لى وحدى . أنـا شغوف بكل ما هو جميل ومناسب ونظيف ومنظم . أعتز با ستقلالى وأغار على هذا الاستقلال . لدى ذخيرة ذهنية تكفى لكى أكون رفيق نفسى إذا ما كان لدى كثير

من الكتب والموسيقى . والشىء الوحيد الذى لا أستطيع أن أطيقه أبدا هو رجل جلف يدخن فى جميع أنحاء بيتى وينام فى كرسيه بعد العشاء ويخل بنظام البيت . أوه !

الجنرال : ولكن الحب ..

لزبيا : أوه .. الحب . أليس لديك خيال ؟ أتظن أننى لم أقع أبدا فى حب رجال مدهشين ؟ أبطال ! ملائكة ! أمراء ! حكماء ! بل حتى أنذال فاتنون ؛ وكانت لى معهم أعجب المغامرات ؟ هل تعرف ما معنى النظر إلى مجرد رجل حقيقى بعد هذا ؟ رجل بأحذيته فى كل ركن ، ورائحة تبغه فى كل ستار ؟

الجنرال : (**فى شبه ذهول**) ولكن .. وأرجو المعذرة لقولى هذا .. ألا تريدين أطفالا ؟

لزبيا : لابد أن يكون لى أطفال. سأكون أما طيبة للأطفال . وأعتقد أن وطنى يستفيد أجل الفائدة إن هو جعلنى أستفيد أجل الفائدة بإنجاب أطفال . ولكن وطنى يقول لى إننى لا أستطيع أن يكون لى طفل فى بيتى بدون أن يكون فيه رجل أيضا . ولذلك أقول لوطنى إننى لن أنجب أطفالا . وإذا قدر لى أن أكون أما فأنا فى الحقيقة لا أستطيع أن أطيق رجلا يضايقنى لأكون زوجة فى الوقت نفسه .

الجنرال : يا عزيزتى لزبيا ، أنت تعلمين أننى لا أريد أن أكون

وقحا ، ولكن هذه ليست هى الآراء الصائبة التى تعبر عنها سيدة إنجليزية .

لزبيا : ولذلك فأنا لا أعبر عنها إلا للسادة الذين لا يقبلون أى رد آخر . إن وجه الصعوبة هنا — كما ترى — هو أننى فى الحقيقة سيدة إنجليزية ، وأنا فخور بنوع خاص لكونى كذلك .

الجنرال : أنا واثق من هذا يا لزبيا ، كل الثقة . لم أقصد أبدا ...

لزبيا : (**تقف نافذة الصبر**) أوه يا عزيزى بوكسر . أرجوك . حاول أن تفكر فى شىء آخر ، وليس فيما إذا كنت أهنتنى وما إذا كنت تسلك المسلك الصائب كجنتلمان إنجليزى . أنت معصوم من الخطأ ، وسقيم ، ثقيل الدم (**تهز كتفيها فى نفاد صبر وتعبر المطبخ إلى الناحية الأخرى**) .

الجنرال : (**مكتئبا**) إذن فهذا هو ما تأخذينه علىّ . لست ذكيا . جندى غبى مسكين .

لزبيا : الأمر كله فى غاية البساطة . أنا كما قلت لك سيدة إنجليزية ، أعنى بذلك أننى تدربت على الاستغناء عما لا أستطيع الحصول عليه بشروط لا تمس الشرف ، مهما يكن الأمر .

الجنرال : أنا فى الحقيقة لا أستطيع أن أفهمك يا لزبيا .

لزبيا : (**منقلبة عليه**) إذن فلماذا بالله عليك تريد أن تتزوج امرأة لا تفهمها ؟

الجنرال : لا أدرى . لعل ذلك لأننى أحبك .

لزبيا : تستطيع أن تحبنى كما تشاء يا بوكسر ، بشرط أن تبدو سعيداً وألا تضايقنى . ولكنك لا تستطيع أن تتزوجنى . هذا كل ما فى الأمر .

الجنرال : من الصعب جداً مناقشة هذا الأمر معك دون إيلامك بالخروج على حدود الذوق واللياقة . ولكن من المؤكد أن نداء الطبيعة ...

لزبيا : لا تكن مضحكاً يا بوكسر .

الجنرال : كيف أستطيع التعبير إذن ؟ هذه مناقشة ملعونة . ألا تريدين زوجاً يا لزبيا ؟

لزبيا : لا . أريد أطفالا . أريد أن أكرس نفسى تماماً لأطفالى وليس لأبيهم . القانون لا يسمح لى بهذا . ولذا صممت على ألا يكون لى زوج أو أطفال .

الجنرال : ولكن بالله عليك ، هذه الشهية الطبيعية ..

لزبيا : قلت لك إن السيدة الإنجليزية ليست أمة لشهيتها . هذا هو ما يعجز عن فهمه الجنتلمان الإنجليزى (**تجلس عند طرف المائدة بالقرب من باب المكتب**)

الجنرال : ما دمت ترفضين فأنت ترفضين . لن أسألك مرة أخرى . أنا آسف لأننى عدت إلى هذا الموضوع (**ينسحب إلى المدفاة ويستقر عندها جريحا فى أنفة**) .

لزبيا : لا تغضب يا بوكسر .

الجنرال : لست غاضباً يا لزبيا . جريح فقط . وعندما تتحدثين

بهذا الشكل لا أشعر بأنني اقتنعت ، ولكن بأنني تائه تماماً .

لزبيا : أنت تعرف شعار الأسرة . إذا شعرت بأنك تائه فعليك ببائع الخضر . (**يدخل كولنز من باب البرج**) ها هو .

كولنز : آسف يا آنسة لأنني أكثر من الدخول والخروج هكذا . كنت أظن أن مسز بردجنورث هنا . المائدة جاهزة الآن لطعام الإفطار ، إن كانت تريد رؤيتها .

لزبيا : إذا كنت أنت راضياً يا كولنز فأنا واثقة أنها ستكون راضية .

الجنرال : كولنز . كنت أظن أنك عينت نائب عمدة .

كولنز : هذا صحيح يا جنرال .

الجنرال : إذن فأين عباءتك ؟

كولنز : لا أرتديها فى حياتى الخاصة يا جنرال .

الجنرال : لماذا ؟ هل تخجل منها ؟

كولنز : لا يا جنرال . بل الحق أننى فخور بها . رغم أرادتى .

الجنرال : تعال هنا يا كولنز (**كولنز يتجه إليه**) هل ترى بدلتى العسكرية .. وكل هذه الأوسمة ؟

كولنز : نعم يا جنرال . إنها تبهر العين .

الجنرال : هذا هو المقصود . أنت تعلم الآن ، أليس كذلك ؟ أن الخدمات التى تقدمها للمجتمع بوصفك بائع خضر لا تقل أهمية واحتراما عن الخدمات التى أقدمها أنا بوصفى جندياً ؟

كولنز : أنا واثق أن هذا القول منتهى الكرم منك يا جنرال .

الجنرال : (**مؤكدا**) وأنت تعلم أيضاً ، أليس كذلك ، أن أى شخص يرى فى عملك أو فى ملابسك ما يضحك أو ما يتنافى مع الرجولة أو مع الذوق لا يعتبر جنتلمان ، وإنما يعتبر شخصاً حقيراً سافلا دنيئا ؟

كولنز : بينى وبينك يا جنرال ، هذا هو رأيى .

الجنرال : فلماذا إذن لا تشرف زفاف ابنة أختى بارتداتك العباءة ؟

كولنز : هذه صفقة تجارية يا جنرال . مسز بردجنورث طلبت بائع الخضر و لم تطلب نائب العمدة . وأنت إذا حصلت على أكثر مما طلبت ، فإن ذلك لا يقل مضايقة عما لو حصلت على أقل مما طلبت .

الجنرال : أنا متأكد أنها ستوافق على ما أقول . اننى أعلق على ذلك أهمية كبيرة كدليل على التضامن فى خدمة المجتمع . مسح القسيس ، بدلتى العسكرية ، عباءتك : الكنيسة ، الجيش ، البلدية .

كولنز : (**منسحباً**) حسن يا جنرال (**يلتفت إلى لزبيا فى ارتياب وهو فى طريقه إلى البرج**) لست أدرى ماذا ستقول زوجتى يا آنسة .

الجنرال : ماذا ؟ هل تخجل زوجتك من عباءاتك ؟

كولنز : لا يا سيدى ، إنها لا تخجل منها . ولكنها تحسرت على ما دفعته فيها من ثمن . وهى تخشى أن ينغمس كم العباءة

في الصلصة .

(تدخل مسز بردجنورث وقد خرجت عن رزانتها وبيدها خطاب . تمر مسرعة بكولنز ثم تقف بين لزبيا والجنرال)

مسز بردجنورث : لزبيا ، بوكسر . هذه آخر لخبطة .

(يخرج كولنز في حذر)

الجنرال : ماذا حدث ؟

مسز بردجنورث : رجنالد في لندن . ويريد أن يحضر الزفاف .

الجنرال : (**مذعورا**) الطف يا رب !

لزبيا : فليأت .

الجنرال : فليأت . لم يصبح الحكم نافذا بعد . فهل يأتي لحضور زفاف إيدث وهو خارج من محكمة الطلاق ؟

مسز بردجنورث : (**تجلس مهتاجة في الكرسي الأوسط**) أمر سيئ للغاية . لا . لا أستطيع أن أصفح عنه . لا يا لزبيا . رجل في سن رجنالد ، وله زوجة شابة ، من أحسن البنات ، وفي غاية الجمال ، يفر مع امرأة من عامة الشعب ، من الشارع !! وه .

لزبيا : يجب أن تلتمسي المعاذير . ماذا تنتظرين ؟ لقد ظل رجنالد ضعيفا طول عمره . نشأ وتربى ليكون ضعيفا . كانت كل أملاك الأسرة مرهونة عندما آلت إليه ملكيتها . فكان لزاما عليه أن يواجه متاعب مالية باستمرار ، ومضايقات من المحامين ، واستبدادا معنويا

من الأسقف ، واستبدادا بدنيا من بوكسر ، هذا بينما رجنالد وزوجته يشقان طريقهما ويتدربان خير تدريب . أنت تعلمين جيدا أنه ما كان يستطيع أن يتزوج إلا بعد فك الرهن وبعد أن يكون عمره قد تجاوز الخمسين . وعندئذ كان من الطبيعى أن يرتكب تلك الحماقة فيتزوج طفلة مثل كليو .

الجنرال : ولكنه كان يضربها . فظيع أن يضربها على الأطلاق ، لقد ألقاها على الأرض . ألقاها على الأرض فى الحديقة فى أحد أحواض الزهور أمام البستانى . هو ، رأس العائلة ، الرجل الذى يقف أمام الأسقف وأمامى وهو يحمل اسم بردجنورث لعائلة بردجنورث ! يضرب زوجته ثم يفر مع امرأة وضيعة ويطلق زوجته على ملأ من إنجلترا كلها ! على ملأ من بدلتى العسكرية ومسج ألفرد ! أنا لا يمكن أن أنسى شعورى عندئذ . لولا إرادة الملك الشخصية — لقد كانت فى الواقع أمرا لا إرادة — لكنت قد استقلت من الجيش . لو رأيت رجنالد فى الشارع لقتلته .

مسز بردجنورث : كما أن ليو ستأتى هى الأخرى . وسيتقابلان . هذا مستحيل يا لزبيا .

لزبيا : أوه . لقد نسيت ذلك . هذا يضع حدا لهذه المسألة . يجب ألا يأتى .

الجنرال : بالطبع يجب ألا يأتى . أخبريه أنه إذا دخل هذا المنزل

خرجت أنا منه . وكذلك سيفعل كل رجل وامرأة لهما كرامة فى هذا المنزل .

كولنز : (**يعود ليعلن قدوم :**) مستر رجنالد يا سيدتى (**ينسحب عندما يدخل رجنالد**)

الجنرال : الطف يا رب !

(**يبدو رجنالد كما وصفته لزبيا . قاس وخشن من الناحية البدنية . متسرع وصبيانى فى مسلكه وحديثه . ينتمى إلى الطبقة الكبيرة من السادة الإنجليز ذوى الأملاك التى يتولى إدارتها المحامون ، هؤلاء السادة الذين لم تتم عقلياتهم منذ أن تركوا الدراسة . إنه غير متزن ، متمرد ، متعجل ، مشوش ، كثير النسيان ، دائما متأخر ، يبدو بوضوح أنه فى حاجة إلى عناية أمرأة قديرة ، ولم يكن له من الحظ أو من الجاذبية ما يكفى لحصوله على هذه العناية . ومع ذلك فهو رجل محبوب لا يحمل ضغينة لأحد ولا يستطيع أن ينجز عملا ما . وهو يبدو أصغر من أخيه الجنرال فى كل شىء إلا فى ألسن**)

رجنالد : (**يتقدم ليقف بين الجنرال ومسز بردجنورث**) لا فائدة يا آليس . لا أستطيع أن أتغيب عن زفاف إيدث . صباح الخير يا لزبيا . كيف حالك يا بوكسر ؟ (**يقدم يده للجنرال**) .

الجنرال : (**فى جمود قاتل**) كنت أقول لآليس الآن يا سيدى أنك

إذا دخلت هذا المنزل وجب على أن أخرج منه .

رجنالد : إذن فلن أمنعك . عند ما تخاطب الناس بقولك « يا سيدى » فإن صحبتك لا تكون ممتعة .

لزبيا : لا تبدءا فى الشجار ، فلن يساعد ذلك على تحسين الموقف .

مسز بردجنورث : كنت تستطيع الانتظار إلى أن يصلك ردى يا رجى .

رجنالد : من السهل جدا أن يقول الإنسان لا فى خطاب.ألن تدعينى أبقى ؟

مسز بردجنورث : كيف أستطيع ذلك ؟ ليو آتية .

رجنالد : لا مانع لديها .

الجنرال : لا مانع !

لزبيا : لا داعى للعبث يا رجى . هيا . اذهب .

الجنرال : (**فى سخرية مرة**) كنت فى المدرسة تؤمن على ما أتذكر بنظرية تقول إن المرأة تحب الضرب .

رجنالد : أنت لطيف وشهم وعطوف كالحلوف .

الجنرال : مستر بردجنورث : هل تغادر هذا المنزل أم أغادره أنا ؟

رجنالد : بل تغادره أنت (**يؤكد نيته فى البقاء بالجلوس**) .

الجنرال : آليس هل تجعليننى أبتعد عن زفاف إيدث بسبب هذا ..

لزبيا : (**منذرة**) بوكسر !

الجنرال : هل هو الذى يسلم إيدث لعريسها ؟

مسز بردجنورث : بالتأكيد لا ! رجنالد : لم يطلب أحد منك الحضور .

وقد طلبت منك أن تذهب.أنت تعرف مقدار حبى لكليو . وتعرف كيف يكون شعورها إذا جاءت ووجدتك هنا .

كولنز : (**يبدو من جديد عند باب البرج**) مسز رجنالد يا سيدتى .

لزبيا : لا . لا. قل لها ..
مسز بردجنورث : يا لسوء الحظ !
الجنرال : الطف يا رب !
(**الثلاثة فى وقت واحد .**)

(**فات الأوان . ليو الآن فى المطبخ فعلا . يخرج كولنز مخلفا موقفا يأسف له ولكنه لم يستطع تفاديه . ليو على جانب كبير من الجمال ، صغيرة وشابة ، قلقة جدا ، ولذا فهى تبدو فى غاية الظرف فى أعين من يستهويهم الشباب والجمال ، وكذلك من يعتبرون النساء الصغيرات قطعة من الحلوى فاتحة للشهية ولا ينظرون إلى السيدات العجائز إطلاقا . إذا درسنا شخصية كَليو على مهل تبين أن قلقها ليس أمرا محبوبا محبة الجو الذى يحيط بامرأة كلها حيوية طاغية . لقد ولدت لتهتم بنفسها وبكل من تشعر أنها مسئولة عنه . وكبرياؤها تدفعها إلى المبالغة فى مسئولياتها . وكل اهتمامها منصب على صغار الأمور ، ولكنها غالبا ما تطلق عليها أسماء كبيرة ، كالفن ، والشرارة المقدسة،والعالم ، والأمومة ، والتربية الحسنة ، والكون ، والخالق ،**

أو أى شىء آخر ترى أنه يبدو ذا أهمية ثقافية . إن لها أكثر من مخيلة عادية . ولكنها عادية فى قدرتها على التصور والنفاذ إلى بواطن الأمور . ولذا فهى دائما تتشدق بالألفاظ وهى دائما على هامش الأمور . وهى إذ تظن نفسها ذكية مفكرة أسمى من أن تضعف أو تخضع للأهواء ، تتعلق فى طيش بالرجال المهرة فتكون النتيجة أنهم يغتبطون فى البداية ثم يتعبون فيسأمون . عندما تزوجت رجنالد قالت لأصدقائها إن فيه صفات كثيرة تحتاج إلى الظهور . لو كانت رجلا فى منتصف العمر لأثار الرعب فى النادى الذى ينتسب إليه . أما وهى امرأة جميلة شابة فإن الإنسان يغفر لها كل شىء ليثبت خطأ المثل الفرنسى القائل « كل ما هو مفهوم جدير بالصفح » ، لأن الحقيقة هى أن سر الصفح عن أى شىء هو ألا تفهم شيئا .)

(تندفع داخلة فى تكلف ، شاعرة بأهميتها ، فتتجه نحو لزبيا التى هى أقل ميلا إلى تدليلها من مسز بردجنورث . ولكن ليو تتظاهر بأن بينها وبين لزبيا نوعا خاصا من الألفة كذلك الذى يكون بين اثنين من المفكرين يعيشان وسط مجموعة من الجهلة)

ليو : (إلى لزبيا وهى تقبلها) صباح الخير (تتجه إلى مسز بردجنورث) كيف حالك يا آليس ؟ (متجهة نحو المدفأة) لماذا تبدو عابسا يا جنرال ؟ (يقف رجنالد

بينها وبين الجنرال) أوه رجى ! أظن أنه لابد أن أقبلك . أرجو ألا يتحدث بذلك أحد منكم (**تقبله . لا يصدقون أعينهم**) هل وفيت بوعودك كلها ؟

رجنالد : أوه . لا تتعبى نفسك بالسؤال عن ..

ليو : (**مصرة**) هل ؟ وفيت ؟ بوعودك ؟ كلها ؟ هل تدلك رأسك بالزيت كل ليلة ؟

رجنالد : نعم . نعم . كل ليلة تقريباً .

ليو : تقريبا ! أعرف معنى هذا . هل تلبس حزام البطن ؟

الجنرال : (**فى جد**) ليو : إن العفو من أجمل الصفات فى طبيعة المرأة . ألا إن هناك بعض أمور يجب ألا تعفو المرأة عن الرجل من أجلها . عندما يلقى رجل بامرأة على الأرض (**ليو تصرخ ضاحكة ضحكة قصيرة وترتمى على كرسى بجانب مسز بردجنورث ، إلى يسارها**) .

رجنالد : (**ساخراً**) الرجل الذى يرفع يده على امرأة ليس جديرا باسم بردجنورث (**يجلس عند طرف المائدة القريب من المدفأة**) .

الجنرال : (**فى غيظ شديد**) إذا كانت ليو لا تمانع فليس لدى ما أقوله . ولكننى أرى لاعتبارات عائلية ، أن تضرب زوجتك فى السر لا على مرأى من البستانى .

رجنالد : (**نافد الصبر**) وما هى الفائدة من ضربك زوجتك إلا إذا كان هناك شاهد يشهد على ذلك فيما بعد ؟ هل تظن أن الرجل يضرب زوجته لمجرد الرغبة فى ذلك ؟ كيف

كانت تحصل على الطلاق لو لم أضربها ؟

الجنرال : (**يشهق**) هل تريد أن تقول إنك فعلت ذلك عامدا ؟ لا لشيء إلا لتتخلص من زوجتك ؟

رجنالد : لا . لم يكن هذا هو السبب . لقد فعلت ذلك لكى تتخلص هى منى . ماذا كنت تفعل لو كنت من الحماقة بحيث تتزوج امرأة تصغرك بثلاثين عاما لتجد أنها لا تحبك وأنها تحب شابا له وجه كعيش الغراب ؟

ليو : هذا غير صحيح(**تنفجر بالبكاء**) ثم أنك شديد القسوة إذ تقول إننى لم أكن أحبك . ما من أحد كان يمكن أن يكون أشد غراما بك منى .

رجنالد : طريقة جميلة لإظهار غرامك . لقد خرجت وحفرت حوض الزهور كله بيدى لأجعله لينا . وأخليته مما كان به من أحجار . وبعد ذلك شكت من أننى لم أفعل ذلك بإتقان لأن دودة علقت برقبتها . وقد سافرت إلى مدينة برايتون مع فتاة مسكينة أعجبت بى ونحن فى الطريق ، وأنبنى ضميرى بعد العشاء لما ارتكبته من تزوير . فقد كنت مضطرا إلى أن أسجل اسمها فى سجل الفندق تحت اسم مسز رجنالد بردجنورث ، اسم ليو . هل تدركون ما يشعر به الرجل الطيب إزاء ذلك ؟ هل تحب أن تذهب إلى أحد الفنادق أمام الخدم والناس وفى ذراعك فتاة كهذه ؟ بالطبع لم تكن غلطة الفتاة المسكينة . ولكنها أخذت فى البكاء لأننى لم أستطع أن أطيقها وهى

تمسنى بيدها . وما زالت تكتب لى حتى الآن ، وبعد ذلك أقف أمام المحكمة بتهمة القسوة والخيانة الزوجية ، وتطردنى أليس من زفاف إيدث ، وتلقى أنت على محاضراتك ، أنت الأعزب ، أعزب خام ! ما أدراك بمثل هذه الأمور ؟

الجنرال : هل أفهم من ذلك أن القضية كلها ملفقة ؟

رجنالد : بالطبع ملفقة . نصف القضايا ملفق . وما عسى أن يفعل الناس ؟ (**يمر الجنرال بيده فى دهشة على جبينه الحائر ويغوص فى كرسيه**) وماذا تظن فىّ حتى تتجرأ وتتظاهر بأنك تصدق كل هذا الكلام الفارغ عن طرحى كليو أرضا وهجرها من أجل هذه .. هذه .. أوه .. كان يجب أن تراها .

الجنرال : أنا مندهش غاية الدهشة . لماذا فعلت ذلك ؟ ولماذا سمحت ليو بذلك ؟

رجنالد : الأفضل أن تسألها .

ليو : (**ما زالت تبكى**) لم أكن أظن أبدا أن الأمر سيكون بهذه الفظاعة بالنسبة لريجى . لقد عرضت عليه أن أفعل أنا ذلك وأجعله يطلقنى ولكنه رفض ، وقال إن هذه هى الطريقة الوحيدة للطلاق ، وأنها هى الطريقة القانونية . ولم أر هذه المخلوقة الكريهة أبدا إلا فى المحكمة . ولو كنت رأيتها قبل ذلك لما كنت سمحت بذلك أبدا .

مسز بردجنورث : هل فعلت كل ذلك من أجل ليو يا ريجى ؟

رجنالد : (**بإحساس من المهانة لا يطاق**) ما كنت أبالى مثقال ذرة لو كان ذلك من أجل ليو . أما أن أفعل ذلك لأفسح الطريق لذلك الثعبان الذى له وجه كعيش الغراب !

الجنرال : (**يقفز**) أى حق له حتى نفسح له الطريق ؟ هل أنت بكامل حواسك ! أى حق له ؟

رجنالد : حقه كشاب يناسب شابة . فأنا لم يكن لى حق فى مثل سنى فى الزواج من ليو ، فإنها لم تكن تعرف عن الحياة أكثر مما تعرفه طفلة .

ليو : كنت أعرف عن الحياة أكثر بكثير مما يعرفه طفل كبير مثلك . ولست أدرى كيف ستعيش وليس معك أحد يعنى بأمرك . وغالبا ما أسهر الليل أفكر فى ذلك . والآن جعلتنى بائسة تماما .

رجنالد : هذا ما تستحقينه (**تنتحب**) لا تنفعلى يا ليو .

لزبيا : هل لى أن اسأل من هو الثعبان الذى له وجه كعيش الغراب ؟

ليو : إنه ليس كذلك .

رچنالد : سنجون هوتشكيس بالطبع .

مسز بردجنورث : سنجون هو تشكيس ! أنه مدعو لحضور الزفاف !

رجنالد : ماذا ؟ فى هذه الحالة سأنصرف (**يتجه نحو البرج**) .

ليو : (**تمسك به**) لا . لن تذهب لقد وعدت بأن تكون لطيفا معى .

الجنرال : لا . لا تذهب يا رجل. لا بد أن تحضر زفاف إيدث .

مسز بردجنورث : ابق يا ريجى . سأتألم إن ذهبت

لزبيا : الأفضل أن تبقى يا رجنالد . فلا بد أن تلقاه عاجلا أو آجلا .

يندفع الأربعة خلفه ويمسكون به

رجنالد : منذ لحظة عند ما كنت أريد أن أبقى كنتم جميعا تطردوننى من البيت . أما الآن وأنا أريد الانصراف . فأنتم تريدون أن أبقى .

مسز بردجنورث : سأبعث إلى مستر هوتشكيس لكيلا يأتى .

ليو : (تبكى من جديد) أوه آليس ! **(تعود إلى كرسيها محطمة القلب)**

رجنالد : (**نافد الصبر**) فليكن لها ما تريد . فليأت عيش الغراب : فليأتوا كلهم .

(يعبر المطبخ نحو « البوريه » ويجلس فوقه حزينا . تهز مسز بردجنورث كتفيها وتجلس إلى المائدة بجوار رجنالد تصغى فى وداعة واستسلام . لزبيا ، وقد نفد صبرها من دموع ليو ، تخرج إلى الحديقة وتجلس هناك بالقرب من الباب تستنشق الهواء النقى بعد أن تخلصت من شئون رجنالد الخاصة الخانقة) .

ليو : إنها لقسوة منك يا ريجى أن تمضى فى الزعم بأننى

لا أحبك .

رجنالد : (بمرارة) لقد قالت لى إنها تريد الطلاق لأنها استنفدت كل محادثاتى وسئمت أحاديثى معها .

الجنرال : (مقبلا على ليو بروح الأبوة) يا فتاتى العزيزة : لقد استنفدت كل المحادثات فى الدنيا منذ زمن طويل . والله يعلم أننى استنفدت كل الحديث عن الجيش البريطانى خلال هذه الأعوام الثلاثين . ولكننى لا أترك الجيش لهذا السبب .

ليو : ليس السبب أننى استنفدت أحاديثه ، ولكنه يظل يكررها عندما أريد أن أقرأ أو أنام . أما سنجون فيسلينى . أنه بارع لبق .

الجنرال : (مذعوراً) ها ! الشكوى القديمة . كلكن تردن أن تتزوجن عباقرة . إن هذا الأقبال على ذوى البراعة واللباقة أمر مضحك . لابد أن تتزوج بعض النساء من الأشخاص العاديين المخلصين الأغبياء . أما فكرت فى ذلك ؟

ليو : ولكن هناك كثيرا من النساء الغبيات . فلماذا يريدون الزواج منا ؟ ثم إن ريجى يعلم أننى أحبه لأنه يريدنى . وأحب سنجون لأننى أريده . أننى أشعر أن على واجبا نحو ريجى .

الجنرال : بالضبط : عليك واجب نحو ريجى .

ليو : وريجى عليه واجب نحوى بطبيعة الحال .

الجنرال : تتتت ...

ليو : أوه ما أغبى هذا القانون ! لماذا لا أستطيع أن أتزوجهما معا ؟

الجنرال : (**مصعوقا**) ليو !

ليو : أنا أحبهما كليهما . أود لو استطعت أن أتزوج كثيرا من الرجال ؟ أحب أن يكون معى ويجى كل يوم ، وأن يصحبنى سنجون إلى حفلات الكونسرت والمسارح وعند الخروج كل مساء ، وأن يكون معى قديس عظيم صارم مرة فى العام فى نهاية الموسم ، وفتى غبى مرح أبله لكى أكون خبيثة معه . فأنا قلما أشعر بميل إلى الخبث والشقاوة . وعندما أشعر بذلك فإن هذا الشعور يتبدد مع الأسف لأن من الغباء أن أعترف به لرجل حقيقى كامل الرجولة .

رجنالد : هذه عينة من حديثها .

الجنرال : (**فى حزم**) آليس : هذه مسألة يبت فيها الأسقف . إنه أسقف ، ومن واجبه أن يتحدث إلى ليو . أستطيع أن أتحمل الكثير ، ولكن وعندما يبلغ الأمر حد تعدد صريح للأزواج والزوجات فلا بد من أن نفعل شيئا .

مسز بردجنورث : (**ذاهبة إلى باب غرفة المكتب**) تعال هنا لحظة يا ألفرد . إننا نواجه بعض المصاعب .

الأسقف : (**من الداخل**) استشيرى كولنز . أنا مشغول .

مسز بردجنورث : كولنز لا فائدة منه . إنه أمر خطير جدا . تعال لحظة

يا عزيزى .(**عندما تسمعه قادما تجلس على كرسى عند طرف المائدة القريب منها**) .

(**يخرج الأسقف من غرفة مكتبه . ما زال نحيلا نشيطا ، قليل اللحم ، أصفر من أخويه فى الطباع والمزاج . ذو يدين ناعمتين وجلد رقيق ، وأنف بارز مع ذقن تناسبه ، ولحية قصيرة تزيد ذقنه حدة بنمو شعرها فى استقامة ، وعينين تدلان على الذكاء والفكاهة ولا تخلوان من الخبث ، سريع الحديث أخاذه ، له أساليب رجل ناجح يهتم دائما بأمر نفسه ويميل على وجه العموم إلى الزهو بنفسه . وعندما تسمع لزبيا صوته تستدير بكرسيها نحوه ثم تقف بالباب تصغى إلى الحديث**) .

الأسقف : (**متجها نحو ليو**) صباح الخير يا عزيزتى . هالو ! لقد جئت برجنالد معك . هذا لطيف منك جدا . هل صالحتهما يا بوكسر ؟

الجنرال : صالحتهما ! لقد كان الطلاق مسألة مدبرة ملفقة . إنها تريد أن تتزوج شخصاً اسمه هوتشكيس .

رجنالد : شخص له وجه كـ ..

ليو : لا يا ريجى . بل له وجه جميل جداً .

مسز بردجنورث : وهى تقول الآن إنها تريد أن تتزوجهما كليهما ، وكثيراً غيرهما .

ليو : لم أقل إننى أريدأن أتزوجهما . بل قلت أننى أود لو

استطعت أن أتزوجهما .

الأسقف : هذه تفرقة لطيفة جداً يا ليو .

ليو : فى المناسبات فقط .

الأسقف : (**يجلس بجانبها فى انطلاق**) تماماً . أحيانا شاعر ، وأحيانا أسقف ، وأحيانا أمير خرافى ، وأحيانا شخص لا يمكن وصفه أبداً ، وأحيانا لا أحد على الإطلاق .

ليو : نعم . هو كذلك تماما . كيف عرفت ؟

الأسقف : أعتقد أن معظم الفتيات ذوات الخيال والثقافة يشعرن بذلك . أنا لا أقيم وزنا لأية فتاة لا تشعر بذلك . لقد أشار شيكسبير منذ زمن طويل إلى امرأة أرادت أن يكون لها زوج فى يوم الأحد وزوج لبقية أيام الأسبوع . ولكنه ، كعادته ، لم يتابع فكرته .

الجنرال : (**مأخوذا**) هل أفهم أن ..

الأسقف : (**يقفه عند حده**) والآن يا بوكسر ، هل أنا الأسقف أم أنت ؟

الجنرال : (**غاضبا**) أنت !

الأسقف : إذن فلا تسألنى عما تفهم .

الجنرال : حسن . استمر فى الحديث . أنا لست ذكيا . ما أنا إلا جندى غبى . ها . استمر (**يرتمى على كرسيه متأهبا لما هو أسوأ**) .

مسز بردجنورث : ألفرد : لا تغضب بوكسر .

الأسقف : إذا كنا نريد أن نناقش مسائل أخلاقية فلابد أن نبدأ

بإعطاء الشيطان حقه . وهذا ما لا يفعله بوكسر أبدا .
وهذا ما لا تفعله إنجلترا أبدا . نحن نسلم دائما بأن
الشيطان مذنب ، ولا نسمح له أبدا بأن يثبت براءته ،
لأنه لو نجح فى ذلك لكان هذا منافيا للآداب العامة .
اعتدنا أن نفعل ذلك مع المسجونين بتهمة الخيانة
العظمى . والعاقبة هى أننا نسيء إلى أنفسنا لأن الشيطان
يتمكن منا فى نهاية الأمر . لعل هذا هو ما يقصد معظمنا
أن يفعله الشيطان بهم .

الجنرال : ألفرد : لقد طلبناك هنا لكى تعظ ليو فإذا بك تعظنى
بدلا منها . لست أذكر أننى قلت أو فعلت شيئا يستدعى
ذلك الاهتمام الذى لم أطلبه .

الأسقف : ولكن المسكينة ليو لم تقل إلا الحق المجرد ، بينما أنت يا
بوكسر تتحدث عن المسائل الأخلاقية .

الجنرال : ما أنا ألا جندى غبى . ها . ولكننى أستطيع أن أوجه
سؤالا صريحا : هل تشجع ليو على أن يكون لها أكثر من
زوج ؟

الأسقف : تذكر الإمبراطورية البريطانية يا بوكسر . خاصة وأنت
جنرال بريطانى .

الجنرال : وما دخل ذلك فى تعدد الأزواج ؟

الأسقف : الغالبية الكبرى من مواطنينا رجالا ونساء لهم أكثر من
زوج وزوجة ، وأنا لا أستطيع — بوصفى أسقفا
بريطانيا — أن أهينهم بالحديث عن تعدد الأزواج

والزوجات حديثا خاليا من الاحترام . هذه مسألة فى غاية الطرافة . فإن كثيرا من ذوى الشخصيات الهامة كانت لهم أكثر من زوجة ، سليمان الحكيم ، والنبى محمد ، وصديقنا دوق .. دوق .. لا أستطيع أن أتذكر اسمه أبدا .

الجنرال : أولى بك يا ألفريد أن ترسل هذه الفتاة الغبية إلى زوجها وواجبها ، بدلا من أن تلجأ إلى البراعة فى الحديث والسخرية من ديانتك . إن من يجمع بينهم الله لا يفرقهم البشر . تذكر هذا .

الأسقف : لا تخش شيئا يا بوكسر . إن من يجمع بينهم الله لن يفرق بينهم بشر . فالله كفيل بذلك (**إلى ليو**) على فكرة ، من الذى جمع بينك وبين رجنالد يا عزيزتى ؟

ليو : كان ذلك القسيس الفظيع الذى انكب فيما بعد على الخمر ، وراح يسافر فى الدرجة الأولى بالقطار بتذكرة درجة ثالثة ، ثم حاول أن يصبح ممثلا مسرحيا ففشل .. كان يدعى إجرتون فوذرنجيى[1] .

الأسقف : أيا كان هؤلاء الذين يجمع بينهم إجرتون فوذرنجيى ، فليفرق شملهم لقاضى سير جوريل بارنز .

الجنرال : قد أكون جنديا غبيا ، ولكننى أسمى ذلك زندقة .

الأسقف : (**جادا**) خير لى أن أتسمى باسم مستر إجرتون فوذرنجيى

---

(١) *Egerton Fotheringay*

صادقا من أن تتسمى أنت عبثا باسم أسمى منك .

لزبيا : ألا يمكن أن تلتقوا أنتم الأشقاء الثلاثة بدون شجار ؟

الأسقف : (ملاطفا) ليس هذا شجارا يا لزبيا .. ما هى ألا معيشة الأسرة الإنجليزية . صباح الخير .

ليو : كرم منك أيها الأسقف أن تقف إلى جانبى ، ولكن ذلك أصابنى بصدمة .. نوعا ما .

الأسقف : إذن فقد وفقت أكثر مما وفق بوكسر فى تهيئة تفكيرك التهيئة المناسبة .

الجنرال : (ساخرا) هاه .

ليو : أبدا . لأننى سأذهلك الآن إلى أقصى حد . أنا أعتقد أن سليمان كان وحشا عجوزا .

الأسقف : هذا هو بالضبط ما ينبغى أن يكون رأيك فيه يا عزيزتى ، فلا تتلمسى الأعذار .

الجنرال : (وقد ازداد ذهولا) هذا كلام ملعون . لقد ورد ذكر سليمان فى الإنجيل . ثم إن سليمان كان سليمان .

ليو : وأنا أتمسك بما قلت . مازلت أريد أن يكون لى عدد من الرجال أعرفهم معرفة ألفة ومودة ، أصارحهم بكل ما يخطر لى ببال . ويصارحوننى بكل ما يخطر لهم ببال .

الأسقف : وسيكون لك ما تشائين يا عزيزتى إن أسعدك الحظ . ولكن لا حاجة بك إلى أن تتزوجيهم جميعا . فكرى فى عدد الأزرار التى ستخيطينها لهم . وفوق هذا . ليس هناك ما هو أفظع من زوج يظل دائما يصارحك بكل

شيء يدور بخاطره ، ويريد دائما أن يعرف ما يدور بخاطرك .

ليو : (**وقد أذهلها هذا القول**) هذا قول ينطبق تماما على رجي . بل هذا هو السبب الذى طلقته من أجله .

الأسقف : (**مغريا**) نعم .. دائما يعيد ما يقول بشكل مزعج أليس كذلك ؟

رجنالد : أسمع يا ألفرد ، إذا كانت لى عيوبى ، فلتهتد هى إليها بنفسها دون مساعدة منك .

لأسقف : لقد اعتدت إليها بالفعل يا رجنالد .

ليو : (**وقد أستاءت قليلا**) على أية حال . يوجد من هم أسوأ حالا من رجنالد . واننى لأجرؤ على القول بأنه ليس فى مثل ذكائك ، ولكنه ليس غبيا بالقدر الذى تظنه كما يبدو من كلامك .

الأسقف : تمام يا سيدتى . دافعى عن زوجك . وأرجو أن تدافعى دائما عن جميع أزواجك (**ينهض ويتجه نحو المدفاة حيث يقف فى بشاشة وظهره إلى النار ، وهو ينظر إليهم ملاطفا كما لو كان فى غرفة ملأى بالأطفال**) .

ليو : أرجوك ألا تحدثنى كما لو كنت أريد الزواج بكتيبة بأكملها . فلن يكون لى أكثر من اثنين . لن أحب سوى رجى وسنجون .

رجنالد : هذا الرجل الذى له وجه كوجه ..

ليو : لن أسمح لك بهذا يا رجى . هذا أمر يبعث على

الاشمئزاز .

الأسقف : كما أنك يا عزيزتى ستستنفدين كل ما لدى سنجون من حديث فى أسبوع أو نحو ذلك . فما أشبه الرجل بفونوغراف به نصف دستة من أسطوانات ، سرعان ما تملينها جميعا . ومع ذلك عليك أن تجلسى إلى المائدة بينما يدير الفونوغراف ليسمع هذه الأسطوانات لكل زائر جديد . وعليك فى النهاية أن تقنعى بما لديه من إنسانية يشترك فيها مع سائر الناس . وعندما تبلغين هذه المرحلة ، تكونين قد اهتديت بشأن الرجال إلى ما اعتاد أن يقوله شاعر إنجليزى كبير من معارفى بشأن النساء ، فقد كان يقول عنهن : « إنهن جميعا بمذاق واحد » . تزوجى من تشائين تجديه بعد شهر صورة أخرى من رجنالد . وستقولين لنفسك : ما كان الأمر ليستحق التغيير . نعم .. ما كان الأمر ليستحق التغيير .

ليو : إذن فمن الخطأ الزواج .

الأسقف : نعم يا عزيزتى . ولكن الخطأ الأكبر بكثير هو عدم الزواج .

الجنرال : (**يقف**) ها ! هل تسمعين ذلك يا لزبيا ؟

(**ينضم إليها عند باب الحديقة**) .

لزبيا : ما هى إلا حذلقة فى الحديث يا بوكسر .

الجنرال : إنه حديث معقول يا لزبيا . عند ما يتحدث الرجل حديث هراء فهذه حذلقة . أما إذا تحدث حديثا معقولا

فأنا أتفق معه .

رجنالد : (**يتقدم مبتعدا عن « البوريه » وهو ينظر إلى ساعته**) الوقت متأخر . أين إيدث ؟

مسز بردجنورث : اذهبى واستعجليها يا لزبيا .

لزبيا : (**تخرج من باب البرج**) تعالى معى يا ليو .

ليو : (**تتبع لزبيا إلى الخارج**) بالتأكيد .

(**يتجه الأسقف إلى زوجته ويجلس ، آخذا يدها يقبلها كعلامة على بدء حديث معها**) .

الأسقف : آليس : تلقيت خطابا آخر من السيدة الغامضة التى لا تستطيع التهجى . أنا أحب خطابات هذه المرأة . فهى تنم عن عاطفة فياضة تأسرنى .

الجنرال : (**يلتفت على غرة فقد كان يتطلع إلى الحديقة**) هل تعنى أن النساء يكتبن إليك خطابات غرامية ؟

الأسقف : بالطبع .

الجنرال : ولكنهن لا يكتبن لى أبدا .

الأسقف : الجيش لا يستهوى النساء . ولكن تستهويهن الكنيسة .

رجنالد : هل ترى من الصواب السماح لهن بذلك ؟ قد يكن متزوجات .

الأسقف : بل هن دائما متزوجات . والمرأة التى أتحدث عنها الآن متزوجة . (**إلى مسز بردجنورث**) ألا ترين أن خطاباتها هى أحسن الخطابات الغرامية التى أتلقاها ؟

. (**إلى الرجلين**) مسكينة آليس : إنها تقرأ على خطابات

الغرام بصوت عال أثناء الفطور ، عندما تكون هذه الخطابات جديرة بالقراءة .

مسز بردجنورث : الحق أن أمر هذه المرأة أمر عجيب . فهى لا تذكر عنوانها أبدا ، وهذه علامة طيبة .

الجنرال : ألا تحدد موعدا للقاء ؟

الأسقف : بل هى تفعل . لقد بدأت خطاباتها بتحديد موعد غريب جدا ولو أنه طبيعى جدا . فهى تريدنى أن أقابلها فى الآخرة . أرجو أن أتمكن من ذلك .

الجنرال : أرجو ألا تتمكن من ذلك يا ألفرد . أرجو ألا تتمكن من ذلك .

مسز بردجنورث : هى تقول إنها سعيدة فى زواجها . وأن الحب بالنسبة إليها ضرورة من ضروريات الحياة . ولكن فوق كل عشاقها ...

الأسقف : وما أكثرهم فيما يبدو ...

مسز بردجنورث : ... فوق كل عشاقها لا بد أن يكون لها رجل عظيم لا يعرفها أبدا ، ولا يلمسها أبدا . طالما هى على الأرض ، ولكنها تستطيع أن تلتقى به فى السماء عندما تسمو فوق أدران الحب الدنيوى .

الأسقف : (**ينهض**) هذا رائع ! هذا حسن بالنسبة إليها . ولا خير فيه بالنسبة إلى . لا بد أن تكون فى حياة كل شخص حالة كهذه من حالات التمسك بالمثل الأعلى ، شأن الشاعر الإيطالى دانتى وحبيبته بياتريس . (**يشبك يديه خلف**

ظهره ويسير جيئة وذهابا من المدفأة وإليها وهو يغنى)
(تظهر لزبيا عند باب البرج منزعجة)

لزبيا : آليس : تعالى معى إلى أعلى . إيدث لم ترتد ملابسها .

مسز بردجنورث : (**تنهض**) لم ترتد ملابسها ! هل تعرف كم الساعة الآن ؟

لزبيا : لقد أغلقت عليها باب غرفتها وانهمكت فى القراءة .
(يكف الأسقف عن الغناء ، ويقف جامدا)

الجنرال : قراءة !

الأسقف : ماذا تقرأ ؟

لزبيا : إحدى النشرات التى وصلت ببريد الساعة الحادية عشرة . وهي لا تريد الخروج . ولا تريد أن تفتح الباب . وتقول إنها لا تعرف ما إذا كانت ستتزوج أم لا إلا بعد أن تتم قراءة النشرة . هل سمعت أبدا بشيء كهذا ؟ تعالى وتحدثى إليها .

مسز بردجنورث : ألفرد : من الأفضل أن تذهب إليها .

الأسقف : حاولى أن تستعينى عليها بكولنز .

لزبيا : لقد حاول كولنز فعلا . وقد حصل منها على الإجابات التى ذكرتها الآن من خلال ثقب الباب . تعالى يا آليس
(تختفى . وتهرول مسز بردجنورث خلفها) .

الأسقف : هذا معناه التأخير . سأعود إلى عملى (**يتجه نحو باب المكتب**) .

رجنالد : أى عمل هذا الذى تعمله الآن ؟

الأسقف : (**يقف**) أكتب فصلا آخر من فصول الكتاب الذى أؤلفه عن تاريخ الزواج .. وهو الفصل الذى يتعرض للزواج عند الرومان .

الجنرال : (**آتيا من باب الحديقة إلى الكرسى الذى غادرته مسز (بردجنورث حيث يجلس عليه)** لعله لا يتضمن مزيدا من الحديث عن الشعائر والطقوس يا ألفرد .

الأسقف : لا ، لا . أنا أعنى روما القديمة (**يجلس على طرف المائدة**) أكتب الآن عن الفترة التى كان فيها أفراد طبقة ذوى الأملاك يرفضون الزواج ومع ذلك يعيشون فى حالة زواج . وتمسكت أسر قليلة بتقاليد الزواج حتى يستمر تدفق العذارى العفيفات الشرعيات . ولكن ما من أحد آخر كان يحلم بالزواج . هذه مسألة طريفة جدا ، لأننا سنبلغ هذه المرحلة هنا فى إنجلترا ، باستثناء واحد . فما دمنا لا حاجة لنا بأية عذارى عفيفات فلن يتزوج أحد أبدا ، اللهم إلا الفقراء .

الجنرال : إن البرود الذى تتحدث به عن هذا الأمر يثير الغيظ . رجنالد : هل تظن أن الأسقف فى كامل وعيه ؟

رجنالد : ليس أسوأ من عهدنا به .

الجنرال : (**إلى الأسقف**) هل تريد أن تقول إنك تعتقد أن شيئا كهذا سيحدث فى إنجلترا ، فيتخلى الناس المحترمون عن الزواج .

الأسقف : سيفعلون ذلك فى إنجلترا بنوع خاص . أما فى البلاد

الأخرى فإن سن قوانين معقولة للطلاق سينقذ الموقف . ولكننا فى إنجلترا دائما ندع التقاليد والسنن تهلك نفسها حتى تتحطم . لقد أبلغت رؤساء وزارتنا الأربع السابقين أنهم ما لم يجعلوا قوانين الزواج فى بلادنا معقولة فسيضرب الناس عن الزواج ، وسيبدأ الإضراب بين طبقة ذوى الأملاك ، وهى الطبقة التى لا تجرؤ الحكومة على التدخل فى شؤونها .

رجنالد : وماذا كان جوابهم ؟

الأسقف : الجواب المعتاد . لقد اتفقوا معى ، ولكنهم كانوا على يقين من أنهم وحدهم ذوو الرأى الصواب فى العالم ، وأن أقل إشارة إلى إصلاح قوانين الزواج ستجعلهم يخسرون الانتخابات القادمة . ثم جاءت الانتخابات وخسروها بالفعل . خسروها بسبب قوانين الخمر ، أو قوانين أجور العمال الصينيين فى جنوب إفريقية ، أو أى سبب آخر من هذه الأسباب التافهة .

رجنالد : **(يسير متمايلا عبر المطبخ ناحية المدفأة ويداه فى جيبه)** لا فائدة . إنهم لا يصغون إلى أمثالنا **(منقلبا عليهما)** بالطبع كان لزاما عليهم أن يجعلوا منك أسقفا ومن بوكسر جنرالا ما دام من ينتمون إليهم من حثالة المتغطرسين والسفلة وأصحاب الحوانيت الذين يكادون يموتون من الجوع ، لا يستطيعون أن يقوموا بالأعمال الحكومية . لا يستطيعون أن يعيشوا . بدوننا ، ومع

ذلك فماذا يفعلون من أجلنا ؟ أى اهتمام يبدونه بما نقوله أو بما نحتاج إليه ؟ إن أسرتنا — أسرة بردجنورث — هى على ما أعتقد خير مثال للأسرة الإنجليزية ، من ذلك النوع الذى يضع الأمور فى نصابها ، ونتمسك بحقنا فى أن نفكر ونؤمن بما تمليه علينا ضمائرنا . أما اليوم فإنهم ينتظرون منا أن نلبس ونأكل كما يلبس ويأكل من يقضون عطلة نهاية الأسبوع ، وأن نفكر ونؤمن كما يفعل أكلة لحوم البشر فى أواسط إفريقية بعد أن تابوا عن أكل لحوم البشر ، وأن نجعل من أجسادنا ممرا لكل متغطرس وكل سافل وكل صحفى تافه . لا توجد اليوم فى إنجلترا صحيفة واحدة تمثل ما أسميه أنا رأى أسرة بردجنورث وتقاليدها الراسخة الأصيلة . إن نصف هذه الصحف يقرأ كما لو كان قد نشر فى أقرب اجتماع للأمهات ، والنصف الآخر فى أقرب جراج سيارات . فهل تسمى هؤلاء الناس سادة مهذبين ؟ هل تسميهم إنجلترا ؟ أما أنا فلا (**يلقى بنفسه مشمئزا فى أقرب كرسى**) .

الجنرال : (**وقد تحمس بفصاحة رجنالد**) هل ترى بدلتى الرسمية ؟ هل تذكر ما قال عنها كولنز ؟ إنها تجذب العين . هذا هو المقصود منها . إننى أرتديها عامدا حتى تكون بمثابة لكمة فى العين لكل من ينتمى إلى الجيش الحديث . لابد أن يبدأ أحد فيكون القدوة . فليكن هذا الأحد من أسرة بردجنورث . أنا أومن بـدم الأسرة

وتقاليدها .

الأسقف : (شاردا) إننى لأتساءل : من الذى سيبدأ بالوقوف ضد الزواج . لابد أن يحدث ذلك يوما ما . لقد تزوجت أنا نفسى قبل أن أفكر فى ذلك . وحتى لو كنت قد فكرت فى هذا ، فما كان حبى الشديد لآليس ليسمح لشىء بأن يقف فى طريقه . ولكنكما تعلمان أننى رأيت بناتى — إيثل وجين وفانى وكرستينا وفلورنس — يخرجن من هذا الباب كل فى نقابها واحدة بعد أخرى إلى بيت الزوجية ، ولطالما ساءلت نفسى ما إذا كن يغادرن هذا البيت فى هدوء لو أنهن علمن ماكن مقدمات عليه . نفسى تساورها هواجس مرعبة بشأن تلك النشرة التى تقرأها إيدث . إن كل تقدم معناه الحرب مع المجتمع . وإننى لأسأل الله ألا تكون إيدث من بين المحاربين .

(يدخل سنت جون هوتشكس من باب البرج فى أعقاب كولنز . شاب أنيق جدا فى التاسعة والعشرين من عمره أو نحو ذلك . سليم الذوق من رأسه إلى قدميه . إلا أنه مشغول جدا بأفكاره بحيث لا يقلقه الاهتمام بمظهره . يتحدث عن نفسه بمرح نشيط ، ويتحدث إلى الناس فى صبر ينطوى على مراعاة الرأفة لغبائهم ، صبر يثير غضب هؤلاء الذين لا يوفق فى إدخال السرور إلى نفوسهم ، فهم إما أن يفقدوا أعصابهم معه وإما أن يحاولوا عبثا أن يزجروه)

كولنز : (**معلنا**) مستر هوتشكس (**ينسحب**)

هوتشكس : (**يربت على ظهر رجنالد فى مرح وهو يمر به**) **هيه** ريجى .

رجنالد : (**باستياء دون أن يقف أو يدير رأسه**) صباح الخير .

هوتشكس : صباح الخير أيها الأسقف .

الأسقف : (**مبتعدا عن المائدة**) بالله ماذا تفعل هنا يا سنجون ؟ أنت من فريق العريس ، ولا عمل لك هنا إلا بعد انتهاء الحفل ..

هوتشكس : نعم أعرف هذا . تماما . هل تسمح لى بأن أحدثك على انفراد ؟ لا يهم وجود رجى أو أى فرد من أفراد الأسرة ، ولكن .. (**يرنو إلى الجنرال الذى يكون قد نهض فى صلابة ، فهو لا يوافق أبدا على الدور الذى يقوم به هوتشكس فى شؤون رجنالد الخاصة**)

الأسقف : لا بأس يا سنجون . هذا أخونا ، جنرال بردجنورث (**يتجه نحو المدفأة حيث يقف ثابتا ويداه مشتبكتان خلف ظهره**) .

هوتشكس : أوه ، لا بأس (**يلتفت إلى الجنرال ويخرج بطاقته**) ما دمت فى خدمة الجيش فاسمح لى أن أقدم نفسى . اقرأ بطاقتى من فضلك (**يقدم بطاقته إلى الجنرال الذى استولت عليه الدهشة**)

الجنرال : (**يقرأ**) مستر سنت جون هوتشكس ، الجبان المشهور ، الملازم السابق بالوحدة ١٦٥ مشاة .

رجنالد : (**مقهقها**) لقد أعيد من جنوب إفريقية لأنه جبن عن أن ينفذ أمرا بالهجوم ، فأفسد بذلك خطة قائده .

الجنرال : (**فى منتهى الصرامة**) أذكر ذلك الحادث . كنت قد نسيت الاسم . لن أرفض التعرف بك يا مستر هوتشكس ، لسببين : الأول لأنك ضيف أخى ، والثانى لأن المعارك التى شهدتها كانت من الكثرة بحيث جعلتنى أدرك أن أعصاب كل رجل تخونه فى وقت أو آخر ، وأنه يجب على بعض الرجال المحترمين ألا يخوضوا المعارك أبدا ، لأنهم لم يجعلوا لذلك . ولكننى لو كنت مكانك لما استعملت هذه البطاقة على الإطلاق . لا شك فى أنها شهامة منك ألا تريد أن يقدم لك أحد يده وهو يجهل عارك . ولكن الأفضل أن تتيح لنا الفرصة لننسى ذلك . فنحن نريد أن ننسى . فهو ليس عارك وحدك ، بل عار على الجيش وعلينا جميعا . أرجو أن تغفر لى هذه الصراحة .

هوتشكس : ياجنرالى العزيز : لست أدرى ما هو المعنى العسكرى لكلمة الخوف . لقد اشتركت فى سبع مبارزات بالسيف فى إيطاليا والنمسا ، وواحدة بالطبنجة فى فرنسا دون أن تتحرك فى رأسى شعرة . لم تكن لدى وسيلة أخرى أستطيع بها التعبير عن رفضى شن ذلك الهجوم . أنا لا أدعى الشجاعة . فأنا أخاف النحل . وأنا أخاف القطط . وبالرغم من صوت العقل فأنا أخاف

العفاريت . وقد وليت هاربا عبر أوروبا مرتين خوفا من النذير الكاذب بوباء الكوليرا . ولكننى لا أخاف القتال (**يلتفت فى مرح إلى رجنالد ويصفعه على كتفه**) إيه رجى ؟ (**رجى يئن**) .

الجنرال : إذن فلم لم تقم بذلك الهجوم ؟

هوتشكس : قمت بواجبى ... واجبى الأسمى . لو أننى قمت بذلك الهجوم ، لنجحت خطة قائدى ولكوفئ على ذلك بترقيته . وأنا أرى الآن أن قادة الجيش البريطانى يجب أن يكونوا من بين من يستحقون لقب جنتلمان ، ومن بين هؤلاء وحدهم . أما هذا الرجل فلم يكن جنتلمانا . لقد ضحيت بمستقبلى فى الجيش ، وواجهت العار وواجهت نبذى من المجتمع ، وفضلت هذا على أن أتيح لذلك الرجل فرصته .

الجنرال : (**وقد ثار سخطه**) قائدك هذا يا سيدى كان صديقى ميجور بيلليتر .

هوتشكس : نعم هو . يا له من اسم !

الجنرال : وبالله عليك يا سيدى كيف تجرؤ على الادعاء بأن ميجور بيلليتر ليس جنتلمانا ؟

هوتشكس : لسبب أكيد . واحد من تلك الأسباب التى تدمغ الرجل وتميزه . فهو يأكل مهلبية الأرز بالملعقة .

الجنرال : (**فى غضب شديد**) لعنة الله عليك . أنا آكل مهلبية الأرز بالملعقة . فما رأيك ؟

هوتشكس : وأنا أيضا آكلها بالملعقة فى معظم الأحيان . ولكن هناك طرقا لبقة لإتيان مثل هذه الأمور . أما طريقة بيلليتر فلا يمكن أن تخطئها العين .

الجنرال : إذن فسأقول لك الآن شيئا . عندما ظننت أنك جبان ، كنت أشفق عليك ، وما كنت لأتردد فى بذل كل ما فى وسعى لأعاونك على استرداد منزلتك فى المجتمع ...

هوتشكس : (**مقاطعا**) أشكرك ، ولكننى لم أفقد منزلتى فى المجتمع . فقد قدرت دوافعى حق التقدير . وعينت عضو شرف فى اثنين من أحسن نوادى لندن بعد أن اتضحت الحقيقة .

الجنرال : إذن فاعلم يا سيدى أن هذه النوادى لا تضم إلا متقنزحين . وأنت نفسك متغطرس متقنزح مترنح .

الأسقف : (**مستمتعا بهذا الحوار رغم اعتراضه عليه**) عزيزى بوكسر !

هوتشكس : (**مسرورا**) لطيف منك أن تقول هذا يا جنرال . فأنت على حق . أنا متقنزح . ولم لا ؟ إن كل قوة إنجلترا تكمن فى حقيقة واحدة ، هى أن الغالبية العظمى من الشعب الإنجليزى متقنزحة فهم يسخرون من الفقر . وهم يمقتون الوقاحة . وهم يحبون النبل . وهم يعجبون بالصفات المميزة . وهم لا يطيعون رجلا ارتفع من بين الصفوف . وهم لا يثقون أبدا برجل من طبقتهم . وأنا أتفق معهم . أنا أشاطرهم غرائزهم . قبل أن أتخرج فى

الجامعة كنت جمهوريا .. كنت اشتراكيا . حاولت جديا أن أشعر إزاء الرجل العادى بمثل ما أشعر به إزاء دوق فلم أستطع . وكذلك أنت ، لن تستطيع . فلماذا نشعر بالعار من هذا الطموح إلى ما هو فوقنا ؟ تسألوننى لماذا لا أقول إن الرجل الأمين هو أنبل ما صنع الله ؟ لأننى لا أرى هذا الرأى . فإذا لم يكن هذا الرجل جنتلمانا فأنا لا أبالى أكان أمينا أم لا ، ولن أدع ابنه يتزوج ابنتى . وإليك البرهان .. البرهان على ما أقول . أنت تشعر بمثل ما أشعر به . أنت متقنزج فى الحقيقة . وأنا متقنزح ، ليس فى الحقيقة فحسب ، بل من حيث المبدأ كذلك . وسيذكرنى التاريخ ، ليس كأول قنزوح ، بل كأول بطل للقنزحة الإنجليزية ، وأول شهيد لها فى الجيش . إن البحرية تفخر بشهيدين من هذا الطراز هما الكابتن كيرى والكابتن ويد ، اللذان أعدما لرفضهما القتال تحت قيادة الأميرال بنبو الذى ارتقى إلى هذا المنصب بعد أن كان خادما فى إحدى السفن . ولطالما حسدت هذين الشهيدين على مانالا من مجد وشهرة .

الجنرال : بوصفى جنرالا بريطانيا يا سيدى أرى لزاما على أن أخبرك أنه إذا خالف أى ضابط تحت قيادتى قواعد المساواة المقدسة لمهنتنا بأن يضع ذرة واحدة من واجبه أو الخطر الذى يتعرض له على كاهل أصغر جندى ، أطلقت عليه النار بنفسى .

هوتشكس : ليست روح المساواة هي التي تدفعك إلى هذا يا جنرال بل روح الرئاسة . اسأل الأسقف (**يجلس على حافة المائدة**) .

الأسقف : لا أستطيع أن أؤيدك يا سنجون . مهنتي تضطرني كذلك إلى التنكر للقنزحة . لأنني أقوم بواجب ديمقراطي لكل طفل يؤتى به إلى . على أن أخلع على كل طفل — دون تفرقة بين الطبقات — رتبة تتضاءل إلى جانبها جميع الرتب العسكرية . ليس من حقي أن أميز بين الطبقات . إن الأطفال جميعا جند وخدم ، وليسوا ضباطا وسادة .

هوتشكس : آه .. أنت تشير إلى التعميد . ولكن هذا ليس صحيحا بالمرة . اسمحا لي أن أقول إنكما ستشعران بطمأنينة أكثر إذا أقررتما واعترفتما بمعتقد اتكما الحقيقية . فأنتما تعلمان حق العلم أن الأسقف ليس ندا للقس ، وأن الملازم ليس ندا للجنرال .

الأسقف : بل هما ندان . لقد كنت قسا أنا نفسي .

الجنرال : وكنت أنا ملازما .

رجنالد : وأنا لم أكن شيئا . ولكننا جميعا سواسية ، أليس كذلك ؟ فلعلكم إذن بعد أن تنتهوا من الحديث عن أنفسكم تعودون بنا إلى المهمة التي جاء سنجون من أجلها .

هوتشكس : (**ينهض من على المائدة بسرعة**) أوه .. نعم يا عزيزي .

ألف معذرة . جئت من أجل الزفاف .

الجنرال : وماذا عن الزفاف ؟

هوتشكس : العريس لا يبالى بالزفاف . فقد أغلق سيسل على نفسه باب غرفته . وهو يأبى أن يرى أحدا أو يتحدث إلى أحد . ذهبت إلى غرفته وطرقت الباب وقلت له إننى سأنظر من خلال ثقب المفتاح إذا لم يرد على . ونظرت من خلال ثقب المفتاح فإذا به جالس على السرير يقرأ كتابا (**يقف رجنالد فى فزع بينما يقبع الجنرال فى مكانه**) وبالطبع قلت له لا تكن جحشا ، إلى آخر ذلك . فقال إنه لن يبرح مكانه حتى يتم قراءة الكتاب . وسألته عما إذا كان يعرف كم الساعة ، وعما إذا كان يتذكر أن لديه موعدا على شيء من الأهمية ليتزوج إيدث ، فكان جوابه إننى كلما عجلت بالكف عن مقاطعته ، عجل هو بالاستعداد ، ثم وضع إصبعيه فى أذنيه ، واتكأ على مرفقيه وانكب على ذلك الكتاب اللعين . و لم أستطع أن أحظى منه بكلمة أخرى ، ولذا رأيت أن آتى إليكم لأنذركم .

رجنالد : هذه نكتة . لقد ديرا الأمر فيما بينهما .

الأسقف : لا . إيدث ليست لديها روح الفكاهة . ثم إننى لم أر أبدا رجلا يميل إلى الفكاهة والهزل صبيحة يوم زفافه .

(يظهر كولنز عند باب البرج وهو يقدم العريس ، وهو جنتلمان شاب جميل الطلعة من النوع الجاد ، يتعبه

ضمير مدقق ، وهو الآن شارد الذهن بسبب مشاكل لا حل لها تتصل بالسلوك والأخلاق) .

كولنز : مستر سسيل سايكس (**ينسحب**) .

هوتشكس : اسمع يا سسيل . هذا كله خطأ . لا عمل لك هنا إلا بعد أن يتم الزفاف . هذا كلام فارغ . أنت العريس .

سايكس : (**متقدما نحو الأسقف متحدثا إليه فى يأس مرير**) جئت إلى هنا لأقول إننى عندما خطبت إيدث كنت أجهل كل الجهل ما أنا مقدم عليه من الناحية القانونية . أما الآن وقد أعطيت كلمتى فلن أرجع عنها . أنا الآن تحت رحمتك . زوجنى إن أصررت . ولكن لابد أن تعلم أننى أحتج (**يجلس شارد الذهن على الكرسى ذى القضبان الخشبية**)

الجنرال : (**معا وهما**) بحق الشيطان ماذا تعنى بهذا ؟ ماذا ..

رجنالد : **مهتاجان**) لعنة الله على وقاحتك . ماذا تعنى ...

هوتشكس : (**معا**) اهدأ يا رجى . اهدأ . صبرا . صبرا .

الأسقف : كلا يا رجى . أرجوك . تمالك نفسك يا بوكسر . أرجوك .

(**يستكين رجنالد فى كرسيه . ويجلس هوتشكس على**

يمينه يهدئه)

الجنرال : لا أستطيع أن أتمالك نفسى . لقد تمالكت نفسى طوال النصف الساعة الماضية حتى أكاد أنفجر .

(يجلس فى ثورة عند طرف المائدة بجوار المكتب)

سايكس : (مشيرا إلى رجنالد الغاضب والجنرال الثائر) هذه هى المشكلة أيها الأسقف . إيدث تشبه أعمامها . فهى لا تستطيع أن تتمالك نفسها أكثر منهم . وهى ابنة أسقف . وهذا معناه أنها مرتبطة بأعمال اجتماعية مختلفة : تنظيم عمال المحال التجارية ، ومساعدة الفتيات العاملات ، إلى غير ذلك. وعندما يفور دمها — وهو يفور مرة فى الأسبوع على الأقل — فهى لا تبالى بما تقول .

رجنالد : ولكنك كنت تعرف هذا عندما خطبتها .

سايكس : نعم ، ولكننى لم أكن أعرف أننى سأكون مسئولا قانونيا إذا هى سبت أحدا ، مع أن جميع أملاكها محصّنة ضدى كما لو كنت أحط لص ومتسول فى الوجود . لقد بعث إلى شخص ما صباح اليوم بمقالات « بلفورت باكس » عن أخطاء الرجال . ولقد فتحت هذه المقالات عينى تماما . أنا لا أفكر فى نفسى ، فأنا أواجه أى شىء من أجل إيدث . ولكن أمى وأخواتى يعتمدن كل الاعتماد على أملاكى . وإننى لأفضل بتر قطعة من ذراعى الأيمن على أن ينقص دخل أمى مائة جنيه فى

العام . فأنا مدين لها بكل شيء لعنايتها بي .

(تدخل إيدث من باب البرج مرتدية جاكتة منزلية[١] وقميصا ، في سرعة وتصميم ، في يدها نشرة ، شاهرة سلاح مبادئها ، تستحق لقب أسقف أكثر من أبيها ، ومع ذلك فهي نبيلة كأمها . إنها نموذج لطفلة مدللة نشأت في بيت قسيس ، هي نتاج فظيع أشبه بالطفلة المدللة التي تنشأ في بيت بوهيمي ، بمعنى أن جميع تصرفاتها الصبيانية المصطنعة ، الصادرة عن وسوسة الضمير والنزعة الدينية ، كانت تقابل بالاستحسان والإذعان حتى أصبحت فنزوحة في دعوتها إلى التمسك بمبادئ الأخلاق . وكان من شأن روح الفكاهة عند أبيها ، والتوازن الوديع عند أمها ، أن أنقذا إنسانيتها . إلا أن مزاجها المتهور وإرادتها القوية ، اللذين لا تحدهما ذرة من روح المداعبة أو التشاؤم ، يكتسحان أمامهما كل شيء . تدخل في استعلاء ورسوخ عقيدة فتسيطر على الموقف في الحال)

إيدث : **(واقفة خلف الكرسي الذي يجلس عليه سسيل)** سسيل : لقد سمعت صوتك . لابد أن أتحدث إليك حديثا خاصا . بابا : اذهب . اذهبوا كلكم .

---

(١) جاكتة منزلية هي الترجمة التي اخترناها ل ***Dressing Jacket*** وهي جاكتة كانت تقوم مقام الروب في ذلك الحين (المحرر) .

الأسقف : (**متجها نحو باب المكتب**) لا شك أن إيدث تريدنا أن ننسحب . هيا بنا . (**يقف فى الباب ، منتظرا منهم أن يتبعوه**)

سايكس : هل رأيتم ؟ هذه هى الصراحة التى تجعل موقفى صعبا . بقدر ما تجعلنى أعجب بها .

إيدث : هل تريدنى أن أجامل وألا أقول الحق ؟

سايكس : لا .. ليس تماما .

إيدث : هل يريدنى أحد أن أجامل وألا أقول الحق ؟

هوتشكس : ما دمت قد سألتنى فالجواب نعم . فمن المؤكد أن هذا هو أول شرط لازم للمقابلات الاجتماعية التى يمكن احتمالها .

الجنرال : أرجو أن تقولى لى الحق دائما يا عزيزتى فى جميع الأحوال .

إيدث : (**تتجه نحو المدفأة ملاطفة**) تستطيع أن تعتمد على فى ذلك يا عمى بوكسر .

هوتشكس : هل أنت متأكدة أن لديك فكرة صحيحة عن حقيقة الرجل العسكرى ؟

رجنالد : (**فى روح عدائية**) هل لى أن أسأل عن حقيقتك ؟

هوتشكس : أوه .. ذلك أمر لا يصلح أبدا للنشر ، وإذا بدأت مس بردجنورث فى الحديث عن ذلك فسأكون مضطرا إلى ترك الغرفة .

رجنالد : هذا لا يدهشنى أبدا (**ينهض**) ولكن ما دخل ذلك فى

المسألة التى نبحثها هنا اليوم ؟ هل أنت الذى ستتزوج أم إيدث ؟

هوتشكس : آسف . أنا أهتم بنفسي إلى حد أننى أقحم الحديث عنها فى مقدمة كل مناقشة بطريقة لا تحتمل (**يتجه رجنالد نحو باب المكتب عبر المطبخ وعلى وجهه تعبير الاشمئزاز**) ولكن هل أنت واثق يا عزيزى رجى أن مس بردجنورث ستتزوج ؟ هل ستتزوجين يامس بردجنورث ؟

(**قبل أن تجد إيدث وقتا للإجابة ، تعود أمها مع ليو ولزبيا**)

ليو : نعم ، هى هنا بالطبع . قلت لكما إننى سمعتها تهرول وهى تنزل السلم .

(**تشير إلى طرف المائدة بجوار المدفأة**)

مسز بردجنورث : (**وقد تسمرت فى وسط المطبخ**) وسسيل !

لزبيا : وسنجون !

الأسقف : إيدث تريد أن تتحدث إلى سسيل (**مسز بردجنورث تسير نحوه ، بينما تذهب لزبيا إلى الحديقة**) فلنذهب إلى مكتبى .

ليو : ولكن لابد أن تأتى لترتدى ملابسها . كم الساعة الآن ؟

مسز بردجنورث : تعالى يا عزيزتى ليو (**تتبعها ليو مترددة . توشكان أن تدخلا إلى المكتب مع الأسقف**) .

هوتشكس : هل تعلمين يا مسز بردجنورث أننى أتوق إلى سماع

ما تريدين أن تقوليه للمسكين سسيل ؟

رجنالد : (**مستكبرا**) سسيل !

إيدث : من هو المسكين سسيل ؟

هوتشكس : هكذا يقال للرجل صبيحة يوم زفافه ، لا أدرى لماذا . أنا صديقه المفضل كما تعلمين . أفلا ترين أن ذلك يخولنى حق الحضور لأن ذلك فى صالح سسيل ؟

الجنرال : (**عابسا جادا**) يوجد شىء اسمه الذوق يا مستر هوتشكس .

هوتشكس : يوجد شىء اسمه الفضول يا جنرال .

الجنرال : (**ثائرا**) الذوق لا وجود له هنا يا ألفرد . إيدث : الأفضل أن تأخذى سايكس إلى المكتب .

(تنقسم الجماعة التى تقف عند باب المكتب . يرتمى الجنرال على الكرسى الأخير عند الجانب الطويل من المائدة بالقرب من باب الحديقة . تجلس ليو عند الطرف بجواره ، ومسز بردجنورث بجوار ليو . يعود رجنالد إلى البوريه ليكون قريبا من ليو . بينما يتجه الأسقف إلى زوجته ويقف بجانبها) .

هوتشكس : (**إلى إيدث**) سأنصرف بالطبع إن أردت . ولكن معارضة سسيل فى المضى فى هذا الأمر تستند إلى أسباب عامة بحيث ..

إيدث : (**فى ارتياب سريع**) معارضته ؟

سايكس : سنجون : لا حق لك فى أن تقول هذا . لقد قلت

بوضوح إننى على استعداد للمضى فيه .

إيدث : سسيل : هل تريد أن تقول إنك كنت تقيم الصعاب فى طريق زواجنا ؟

سايكس : أنا لا أقيم أية صعاب . ولكننى أرجوك أن تكونى حريصة فى حديثك عن الناس . يجب أن تتذكرى يا عزيزتى أننى سأصبح عند زواجنا مسئولا عن كل ما تقولين . فى الأسبوع الماضى وقفت على منصة عامة وقلت إن « سلاتوكس » و « تشينرى » وغدان . ولو كنا زوجين عندئذ لاستطاع كل منهما أن يحصل منى على ألف جنيه كتعويض .

إيدث : (فى خشونة) أنا لم أقل شيئا من هذا القبيل .. أنا لا أسب لمجرد الرغبة فى السباب ، وإلا فماذا تقول البنات عنى ؟ لقد اخترت كلماتى بعناية تامة . قلت إنهما طاغيتان ، كذابان . لصان . وهما كذلك . بل إن سلاتوكس أوقح من هذا .

هوتشكس : أخشى ألا يقل التعويض فى هذه الحالة عن خمسة آلاف جنيه .

سايكس : لو كان الأمر يخصنى وحدى لما باليت بالأمر . ولكن هناك أمى وأخواتى . لا حق لى فى التضحية بهن .

إيدث : لا تنزعج . أنا لن أتزوج .

الجميع : لا !

سايكس : (فى فزع) إيدث ! هل تنبذيننى ؟

إيدث : كيف أنبذك ؟ لقد نبذتنى أنت من قبل .

سايكس : بشرفى أبدا . كل ما قلته هو أننى لم أكن ملما بالقانون عندما طلبت منك أن تكونى زوجتى .

إيدث : وأنك لم تكن لتطلب منى ذلك لو كنت ملما بالقانون . أليس كذلك ؟

سايكس : كلا . بل كنت أطلب منك أن تكونى أشد حذرا من أجل خاطرى ، حتى لا تقضى على عبثا .

إيدث : هل ترى أن الحق عبث ؟

هوتشكس : بل أسوأ بكثير من العبث . أؤكد لك . وكثيرا ما يكون ضارا .

إيدث : سنجون : أمسك لسانك . أنت ثرثار أحمق .

مسز بردجنورث : } **مصدومين** { إيدث !

الأسقف : عزيزتى !

هوتشكس : (**فى لطف**) لن أتخذ أى إجراء يا سسيل .

ايدث : (**إلى هوتشكس**) متأسفة . ولكنك من كبر السن بحيث ينبغى أن تكون أحسن من ذلك (**إلى الآخرين**) والآن ، ما دام هذا الزواج لن يتم ، فلنعد إلى عملنا . ماما : أرجو أن تطلبى من كولنز أن يقطع كعكة الزواج ٣٣ قطعة لتوزع على فتيات النادى . فإن عدم زواجى ليس سببا لتخيب أملهن (**تستدير لتخرج**) .

هوتشكس : (**بشهامة**) إن سمحت لى أن أحل محل سسيل يا آنسة بردجنورث ..

ليو : سنجون !

هوتشكس : أوه ، نسيت . أرجو عفوك (**معتذرا لإديث**) خطوبة سابقة !

إيدث : ماذا ! أنت وليو ! ظننت هذا . إذن أليس من الأفضل أن تتزوجا فى الحال ؟ أنا لا أحبذ الخطوبة الطويلة . الفطور جاهز . والكعكة جاهزة ، وكل شىء جاهز . وسأعير ليو النقاب وسائر اللوازم .

الأسقف : لابد أن ينتظرا إلى أن يصدر حكم بالطلاق يا عزيزتى . والرخصة غير قابلة للتحويل .

إيدث : إذن فلا حيلة لنا فى الأمر . هل هناك شىء آخر قبل أن أذهب إلى النادى ؟ .

سايكس : لا يبدو عليك كثير من خيبة الأمل يا إيدث. لا أتمالك نفسى عن قول هذا .

إيدث : وأنت لا تتمالك نفسك عن الظهور بمظهر الارتياح البالغ ياسسيل . لن يكون لذلك أثر فى صداقتنا ، ألـيس كذلك ؟

سايكس : (**شاردا**) بالطبع لا . ولكننى مازلت ... أنا مستعد تماما .. على الأقل .. لولا أمى ... أوه ، لا أدرى ماذا أفعل . أنا أحبك . وعند ما تنتهى متاعب الزفاف ، فلا بد أن أحبك من جديد ...

إيدث : (**تدلله**) لا . لا . لا داعى لهذا يا عزيزى . أنت على حق . لا أظن أنه ينبغى لامرأة تقوم بأعمال عامة أن

تتزوج ، إلا إذا كان زوجها يشاطرها نفس الشعور . أنا لا ألومك أبدا على نبذى .

رجنالد : (**يقفز من فوق البوريه ، يمر خلف الجنرال إلى الطرف الآخر من المائدة**) لا . هذا كلام فارغ . لن أسكت على هذا . لماذا يكون الرجل هو المخطئ دائما ؟ كونى صادقة يا إيدث . لماذا لم ترتدى ملابسك ؟ هل كنت تنوين نبذه ؟ إن كان الأمر كذلك فلابد أن تأخذى نصيبك العادل من اللوم ، ولا تلقى اللوم كله عليه .

هوتشكس : (**فى عذوبة**) ألا يكون من الأفضل أن ..

رجنالد : (**فى عنف**)اسمع يا هوتشكس ، من الذى طلب منك التدخل ؟ هل اسمك إيدث ؟ هل أنا عمك ؟

هوتشكس : أتمنى لو كنت عمى . أحب أن يكون لى عم يا رجنالد .

رجنالد : ياه ! سايكس : هل انت على استعداد لتتزوج إيدث أم لا ؟

سايكس : قلت بالفعل إننى على أتم استعداد . الوعد وعد .

رجنالد : لا نريد أن نعرف ما إذا كان الوعد وعدا أم لا . ألا تستطيع أن تجيب بنعم أو لا دون أن تفسد الأمر وتجعل هوتشكس يقف هنا مستهزئا ؟ إذا هى وضعت نقابها وذهبت إلى الكنيسة ، هل تتزوجها ؟

سايكس : بكل تأكيد .

رجنالد : والآن يا إيدى ، ضعى نقابك واذهبى إلى الكنيسة ، العريس ينتظر (**يجلس إلى المائدة**) .

إيدث : هل من المفهوم أن سلاتوكس وتشينرى كذابان ولصان ، وأننى أرجو أن يكون فى يدى يوم الأربعاء القادم دليل حاسم على أن سلاتوكس أسوأ من ذلك ؟

سايكس : أنا لم أشترط أى شرط فى هذا الشأن عندما خطبتك . والآن لا أستطيع أن أتراجع . كان الله فى عون أمى . مرة أخرى أقول إننى على استعداد للزواج منك .

إيدث : إذن فاعلم أننى أرى أنك تبدو ذا شخصية ضعيفة جدا . وبدلا من أن أستغل ذلك سأضرب لك مثلا أحسن . أريد أن أعرف هل هذا صحيح ؟ (**تخرج نشرة وتقدمها إلى الأسقف ، ثم تجلس بين هوتشكس وأمها**) .

الأسقف : (**يقرأ العنوان**) « هل تعرفين ما أنت مقدمة عليه ؟ يقلم امرأة أقدمت فعلا » . هل لى أن أسأل يا عزيزتى : ما هذا الذى أقدمت عليه ؟

إيدث : تزوجت . عندما أصبح لها ثلاثة أولاد — وكان أكبرهم فى الرابعة من عمره — ارتكب زوجها جريمة قتل ، ثم حاول الانتحار ، ولكنه لم يفلح إلا فى تشويه جسمه . وبدلا من أن تصدر المحكمة حكمها بشنقه ، حكمت عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة رأفة بزوجته وأطفاله . و لم تستطع الزوجة أن تحصل على الطلاق من هذا المجرم الأثيم . بل إنه لم يبق فى السجن طول حياته . ظلت تعيش بغير زوج عشرين عاما ، تربى أولادها من

عملها ، وهى تعلم أنه بمجرد أن يكبروا ويبدأوا حياتهم العملية ، يكون ذلك المخلوق الشرير قد خرج من السجن ليصمهم جميعا بالعار ، وليحول دون زواج البنتين من رجلين مهذبين ، وربما يضطر الابن إلى مغادرة الديار ، هل هذا هو القانون حقا ؟ هل أفهم من ذلك أنه إذا ارتكب سسيل جريمة قتل أو تزوير أو سرقة ، أو إذا أصبح ملحدا . لا أستطيع أن أطلق منه ؟

الأسقف : نعم يا عزيزتى . هذا هو القانون . لابد أن تقبليه بخيره وشره .

إيدث : إذن فأنا أرفض رفضا باتا أن أكون طرفا فى أى عقد خبيث كهذا . أى نوع من الخدم ، وأى نوع من الأصدقاء ، وأى نوع من رؤساء الوزارات يكون لدينا لو قبلناهم بخيرهم وشرهم طول حياتهم ؟ إننا بذلك نشجعهم على ارتكاب كل أنواع الموبقات . لا شك فى أن سلوك زوجى أهم لدى من سلوك مستر بلفور أو مستر أسكويث . لو كنت أعرف القانون لما وافقت على الخطوبة ، ولا أعتقد أن أية امرأة تقبل لو عرفت ما هى مقدمة عليه .

سايكس : ولكننى لن أرتكب جريمة قتل .

إيدث : أنى لك أن تعرف ؟ كنت أشعر فى بعض الأحيان بالرغبة فى قتل سلاتوكس . أما شعرت أبدا بالرغبة فى قتل أحد يا عمى رجى ؟

رجنالد : (**ناظرا إلى هوتشكس فى تعبير قوى**) نعم .

ليو : رجى !

رجنالد : قلت نعم . وأعنى نعم . فى إحدى الليالى كدت أطلق عليك النار يا هوتشكس أنت وليو ، ثم على نفسى . هذه هى الحقيقة .

ليو : (**تنشج بالبكاء فجأة**) أوه رجى ! (**تجرى إليه وتقبله**) .

رجنالد : (**غاضبا**) ابعدى (**تعود باكية إلى مقعدها**) .

مسز بردجنورث : (**تدلل ليو بينما توجه الحديث للجميع**) ولكن أليس كل هذا عبثا ؟ هل هناك أى احتمال لأن يرتكب أى واحد منا جريمة ؟

هوتشكس : أوه نعم ، أؤكد لك . لقد تحريت هذه المسألة مرة بأشد اعتناء ، فتبينت أن الأعمال التى قمت بها بالفعل — وهى الأعمال التى يقوم بها كل فرد على ما أتصور — تؤهلنى — إذا انكشف أمرى وحوكمت — للسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة ، وسنتين من الأشغال الشاقة ، وفقدان جميع حقوق المدنية . هذا مع أننى لم أدخل فى الحساب أننى حارس قضائى ، وأننى حارس مخادع شأن جميع الحراس القضائيين ، وإلا لكانت الأرملة التى عينت حارسا على أملاكها تجوع من وقت لآخر ، ولما نال أولادها أى قسط من التعليم . ولعلنى لا أقل أمانة عن أى واحد هنا .

الجنرال : (**ثائرا**) هل تريد أن تقول إننى سلكت مسلكا يعرضنى للحبس والأشغال الشاقة ؟

هوتشكس : هذا محتمل جدا . ولكننى لا أعلم بطبيعة الحال .

مسز بردجنورث : ولكن الزواج ليس مسألة قانونية . ألا يشعر كل واحد منكم بالحب نحو الآخر ؟ فى هذا الكفاية بكل تأكيد .

هوتشكس : إذا كان فى هذا الكفاية فلماذا نتزوج ؟

مسز بردجنورث : هذا هراء يا سنجون ! بالطبع لا بد للناس أن تتزوج (**فى عدم ارتياح**) ألفرد : لماذا لا تقول شيئا ؟ لن تدعهم يستمرون على هذه الحال ؟

الجنرال : كنت أنتظر طوال العشرين دقيقة الماضية فى دهشة يا ألفرد ، فى ذهول ، متوقعا منك أن تضع حدا لهذا . إننا نتطلع إليك : فهذا مكانك ، وهذا مكتبك ، وهذا واجبك . عليك أن تمارس سلطتك على الفور .

الأسقف : لا بد أن تكون عادلا مع الشيطان يا بوكسر . فلا حق لك فى أن تلعنه إلا بعد أن تسمعه وتفحص حججه . يؤسفنى أنك انتظرت عشرين دقيقة . ولكننى انتظرت عشرين عاما لكى يحدث هذا . ولطالما قاومت إغراء يدفعنى للدعاء كيلا يحدث هذا فى بيتى . لعل هاجسا أوحى إلى بأن حل هذه المشكلة قد يغدو جزءا من العبء القديم الذى تتحمله أسرة بردجنورث . ولعل هذا الهاجس هو الذى دفعنى إلى تحذير حكومتنا تحذيرا جديا من أن قانون الزواج لن تكون له قدسية بالمرة ما لم يكن

قانونا إنسانيا قبل كل شيء .

مسز بردجنورث : أوه ، فلتقل كلاما معقولا فى هذا الصدد . لا بد للناس أن تتزوج . ترى ما عساك كنت تقول لو أن والدى سسيل ووالدتى لم يكونا متزوجين ؟

الأسقف : وهما لم يكونا متزوجين يا عزيزتى .

هوتشكس : أهلا أهلا !

رجنالد : ماذا تعنى ؟

الجنرال : (معا) إيه ؟

ليو : لم يكونا متزوجين ؟

مسز بردجنورث : ماذا تقول !

سايكس : (**يقف فى دهشة**) بالله ماذا تقول أيها الأسقف ؟ كان والداى متزوجين .

هوتشكس : أنت لا تستطيع أن تتذكر يا سسيل .

سايكس : بالطبع لم أسأل أمى أبدا أن تطلعنى على عقد زواجها ، إذا كان هذا هو ما تعنى . وأى رجل فعل هذا ؟ لم أشك أبدا .. لم أكن أعرف أبدا .. هل تمزح ؟ أم هل أصابنا جميعا مس من الجنون ؟

الأسقف : لا تنذعر يا سسيل . دعنى أشرح لك جلية الأمر . لم يكن والداك من الطائفة لأنجليكانية . بل إنك لم تكن أنجليكانيا ، على ما أظن ، إلا بعد أن قضيت عامك الثانى فى أكسفورد . كان والداك من اليقينيين . وقد أديا طقوس هذه الطائفة بعد أن وقعا على عقد الزواج المدنى أمام

المسجل . وأنا أسألك الآن ، بوصفك أنجليكانيا كاثوليكيا ، هل كان ذلك زواجا ؟

سايكس : (**مأخوذا**) لا والله أبدا . لا وألف مرة لا . لم يخطر ذلك ببالى أبدا ! إذن فأنا ابن الخطيئة ! (**يرتمى فى الكرسى ذى القضبان**)

الأسقف : اهدأ . أنت لست ابن الخطيئة أكثر من أى يهودى ، أو مسلم ، أو أى واحد من المنشقين على الكنيسة ، أو أى شخص آخر يولد خارج الكنيسة . ولكنك ترى ما لذلك من أثر فى رأيى فى الموقف . فبالنسبة لى لا يوجد إلا زواج واحد مقدس : هو الزواج الذى تباركه الكنيسة . أما فيما عدا هذا فلا فرق لدى بين زواج مدنى وآخر . لقد جاء وقت كانت فيه كل الزيجات تعقد فى السماء . ولكن الكنيسة لم تكن على شىء من الحكمة . ولم تجعل شريعتها قائمة على أساس من العقل ، فانتزعت منها سلطتها على الرجال والنساء . وحلت محل الزواج فى الكنيسة عقود تتم فى مكاتب الزواج المدنى . أما الآن ، وحكومتنا ترفض أن تجعل هذه العقود معقولة ، فإن هؤلاء الذين أبعدناهم عن الكنيسة بقصر نظرنا ، سيبتعدون عن مكتب الزواج ، وسيحدث لنا ما حدث لروما القديمة . سيكون المحامى عونا لنا فى إبرام عقود لمدة سبع سنوات أو ١٤ أو ٢١ . وقد تكون عقودا [illegible] أشهر معدودة . وستحل صكوك الشركة الزوجية محل

القسم القديم بالتعاهد على الزواج .

الجنرال : وهل توافق أنت ، وأنت أسقف ، على شركة كهذه ؟

الأسقف : وهل تظن أننى ، وأنا أسقف ، أوافق على القانون الذى يبيح زواج رجل من أخت زوجته المتوفاة ؟ ولكن معارضتى لم تحل دون صدور هذا القانون .

الجنرال : ولكن عند ما جست الحكومة نبضك لترى ما إذا كنت توافق على تزويج الزوج من أخت زوجته المتوفاة ، كان من الطبيعى ومن الصواب أن تقول لهم إنك ستراهم وقد حلت بهم اللعنة أولا .

الأسقف : (**مستنكرا**) أوه ، لا ، لا يا بوكسر ! يجب ألا ..

الجنرال : (**وقد نفد صبره**) لا أعنى بالطبع أنك استعملت هذه الألفاظ . ولكن هذا معناها وهذه روحها .

الأسقف : ولا روحها يا بوكسر . أنا أحتج . ولكن دعنا من هذا . المهم هو أن الزواج المدنى منفصل بالفعل عن زواج الكنيسة . إن العلاقة بين ليو وريجى وسنجون علاقة شرعية تماما ، ولكن هل تنتظر منى ، كأسقف ، أن أوافق على هذه العلاقة ؟

الجنرال : أنا لا أدافع عن رجنالد . كان ينبغى أن يطردك من البيت يا مستر هوتشكس .

رجنالد : (**ناهضا**) وكيف أستطيع أن أطرده من البيت . إنه أقوى منى ، وفى استطاعته أن يطردنى هو من البيت إذا بلغ الامر هذا الحد . بل هو قد طردنى بالفعل .

وإلا فماذا تسمى انتزاعه محبة زوجتى منى ووضع نفسه فى موضعى ؟ (**يسير نحو المدفأة**) .

هوتشكس : أنا أحتج يا رجنالد . لقد قلت كل ما يستطيع رجل أن يقوله ليحول دون تحطيم زواجكما .

رجنالد : أوه أعلم أنك فعلت . أنا لا ألومك . الناس لا يفعل أحدهم ذلك للآخر . هذه الأمور تحدث ولا قبل للناس بها . وماذا كان على أن أفعل ؟ كنت عجوزا ، وكانت شابة . كنت غبيا وكانت ذكية . كنت قبيح الوجه ، وكان لها وجه جميل . كان سرورى بوجوده فى البيت بمقدار سرورها . وكان يدخل البهجة إلى نفسى . وكنا أحمقين : فكان يزودنا بالنصيحة السديدة . كان يقول لنا ماذا نفعل عند ما كنا لا نعرف ماذا نفعل . تبينت أننى لست بذى فائدة لها ، وبأنه ذو فائدة لها ، فاختطفته وهجرتنى .

ليو : إذا أنت لم تكف عن التحدث بهذه الطريقة المشينة عن حياتنا الزوجية ، تركت الغرفة ، ولن أتحدث إليك بعدها أبدا .

رجنالد : أنت لن تتحدثى إلى أبدا على أية حال ، أليس كذلك ؟ هل تظنين أننى سأقوم بزيارتك عندما تتزوجينه ؟

هوتشكس : آمل ذلك . لن تكون حقودا يا رجى . ثم إنه ستكون لك كل المزايا التى كنت أتمتع بها من قبل . ستكون أنت الزائر ، مبعث الارتياح ، الوجه الجديد ، مصدر الأنباء

الجديدة ، ستكون أنت محط الأمل الفاشل . وسأكون أنا الزوج فحسب .

رجنالد : (**فى وحشية**) هل لكم جميعا أن تفسروا لى لماذا يدور الحديث دائما حول هوتشكس عندما يكون حديثنا منصبا على إيدث ؟ (**يسير فى المطبخ هائجا ناحية باب البرج ثم يعود إلى كرسيه**) .

مسز بردجنورث : هل يخبرنى أحدكم كيف يسير الكون إذا لم يتزوج الناس ؟

سايكس : هل يخبرنى أحدكم أى رجل شريف وأنجليكانى صادق يخطب امرأة يحبها وتحبه ولا تريد الزواج منه ؟

ليو : هل يخبرنى أحد كيف أرعى رجى عند ما أتزوج سنجون ؟ يجب ألا يسمح لرجى بأن يتزوج امرأة أخرى ، وخصوصا تلك المخلوقة الكريهة الخبيثة التى أفضت للمحكمة بكل هذه الأكاذيب القذرة عنه .

هوتشكس : فلنقم بصياغة أول عقد إنجليزى للشركة الزوجية .

ليو : يا للعار يا سنجون !

الأسقف : لابد أن يبدأ أحد يا عزيزتى . إننى لشديد الارتياب فى أن هذا العقد عندما تتم صياغته سيكون أسوأ من قانون الزواج الحالى بحيث أنكم جميعا ستفضلون الزواج . وعندئذ تكون قد أدينا أكبر خدمة ممكنة للأخلاق عن طريق مجرد محاولة تجربة تنفيذ النظام الجديد .

لزبيا : (**تذكرهم فجأة بحضورها المنسى إذ تقف تفكر وهى**

في باب الحديقة) كنت أفكر .

الأسقف : (**إلى هوتشكس**) ليس أفضل من حملك الناس على التفكير . أليس كذلك يا سنجون ؟

لزبيا : (**آتية نحو المائدة إلى يسار الجنرال**) . لا حق للمرأة فى أن ترفض الأمومة . هذا واضح بعد تلك الإحصائيات التى نشرتها صحيفة التايمز لسدنى ويب .

الجنرال : مستر ويب لا علاقة له بذلك . إنه نداء الطبيعة .

لزبيا : ولكن إذا كانت هذه السيدة إنجليزية ، فإن من حقها ومن واجبها أن تطالب بشروط مشرفة . إذا استطعنا أن نتفق على الشروط ، فإننى راغبة فى عقد حلف مع بوكسر .

(يترنح الجنرال لحظة على قدميه ، مذهولا دون كلام)

إيدث : (**تقف**) وأنا مع سسيل

ليو : (**تقف**) وأنا مع رجى وسنت جون .

الجنرال : (**مشدوها**) حلف ! هل تعنين ا .. ا .. ا ..

رجنالد : إنها لا تقصد سوى تعدد الأزواج والزوجات .. هذا ما أفهمه .

الجنرال : ألفرد : إلى متى تقف هناك وتواجه هذا الجنون ؟ أهو حلم مزعج أم أنا متيقظ ؟ باسم الذوق والعقل فلنعد إلى الحياة الواقعية ...

(يدخل كولنز من باب البرج فى عباءة نائب العمدة .

السيدات اللواتى كن واقفات يجلسن بسرعة ويبدو كأن الحديث لم يكن يعنيهن)

كولنز : يؤسفنى أن أتعجلك يا سيدى ، ولكن الكنيسة امتلأت منذ ساعة . وقد أدى عازف الأرغن جميع مقطوعات الزواج الموسيقية ثلاث مرات .

الجنرال : هذا هو الرجل الذى نريده . ألفرد : أنا لست نداً لهذه الأزمة . وأنت لست ندا لها . أخفق الجيش . أخفقت الكنيسة . سأنحى جانبا جميع الفوارق الاجتماعية التافهة وأستعين بالمجلس البلدى .

مسز بردجنورث : نعم يابوكسر . إنه سيخرجنا من هذه الأزمة ، بكل تأكيد .

(يسير كولنز إلى الأمام ، وهو متحير نوعا ، باشا ، إلى يسار هوتشكس)

هوتشكس : **(ينهض متأثرا بعباءة نائب العمدة)** لم يسبق لى شرف التعرف ؟ أرجو أن تعرفينى به .

كولنز : **(كمن يفضى بسر)** ما أنا إلا الخضرى يا سيدى . أنا المسئول عن إعداد فطور الزفاف . مستر كولنز ، نائب العمدة يا سيدى ، عندما أرتدى هذه العباءة .

هوتشكس : **(يترنح)** تشرفنا **(يجلس)** .

الأسقف : أنا شخصيا أقدر نصيحة صديقى القديم مستر كولنز أحسن تقدير . إذا سمحت له إيدث وسسيل..

إيدث : كولنز يعرفنى منذ طفولتى . أناواثقة أنه سيتفق معى .

كولنز : نعم يا آنسة . تستطيعين أن تعتمدى على فى هذا . هل لى أن أسأل ما هى المسألة ؟

إيدث : المسألة ببساطة : هل تنتظر منى أن أتزوج فى ظل القانون الحالى ؟

سايكس : (**يقف ويتقدم نحو مرفق كولنز الأيسر**) أسألك كرجل عاقل : هل ذلك بالنسبة إليها أسوأ مما هو بالنسبة إلى ؟

رجنالد : (**يترك مكانه ويحشر نفسه بين كولنز وسايكس الذى يعود إلى كرسيه**)ليست هذه هى النقطة . فليكن ذلك مفهوما يا مستر كولنز . ليس الرجل هو الذى يتراجع ، بل هى المرأة (**يلتصق بالمدفأة**) .

لزبيا : هذا أمر لا نعترف به يا كولنز . النساء على أتم استعداد لعقد اتفاق معقول .

ليو : مع كلا الرجلين .

الجنرال : القضية أمامك الآن يا كولنز . وأنا أسألك الآن رجلا لرجل : هل سمعت أبدا هراء مجنونا كهذا ؟

مسز بردجنورث : لابد أن يسير الكون ، أليس كذلك يا كولنز ؟

كولنز : (**متمسكا بهذا القول ، أول قول مفهوم يسمعه**) أوه ، سيسير الكون يا سيدتى ، لا تخشى شيئا من هذه الناحية . ليس من السهل وقفه كما يظن بعض الناس .

إيدث : كنت أعرف أنك ستتفق معى يا كولنز . أشكرك .

هوتشكس : هل لديك أقل فكرة عما يتحدثون عنه يا مستر كولنز ؟

كولنز : التفاصيل لا تهم يا سيدى . أنا لم أقرأ أبدا تقارير اللجان . ماذا يستطيع أعضاؤها أن يقولوا مما لا تعرفه ؟ إنك تلتقط الموضوع وهم يتكلمون (**يتجه نحو ركن المائدة ويتحدث إلى الجميع عبرها**) المسألة يا سيدى ويامس أيدث ويا سيدتى ويـأيها السادة ، كالآتى : الزواج فى حد ذاته أمر محتمل إذا أنت أخذت الأمور ببساطة و لم تتوقع من ورائه شيئا كثيرا . ولكنه أمر لا يصمد أمام التفكير . والمهم هو حمل الشباب على الارتباط بالزواج قبل أن يعرفوا حقيقة ما هم مقدمون عليه . هذه مس لزبيا الآن . لقد انتظرت إلى أن بدأت التفكير فيه ، وعندئذ كان كل شيء قد انتهى . إذا بدأتما النقاش ، أنت يا مس إيدث وأنت يا مستر سايكس ، فإنكما لن تتزوجا أبدا . اذهبى وتزوجى أولا ، وستشتركين فيما بعد فى مناقشات كثيرة ، صدقينى يا مس إيدث .

هوتشكس : إنذارك متأخر . لقد بدأوا النقاش بالفعل .

الجنرال : ولكنك لا تقيم وزنا كاملا لـ ... أوه ، أنا لا أريد أن أبالغ . ولكننى لا أجد كلمة تعبر عن فظاعة الموقف . فإن هؤلاء السيدات لا يرفضن عروضنا الشريفة فحسب ، بل هن فى الواقع يدعيننا كذلك ، كما أفهم ، إلى الدخول فى أحلاف معهن بمقتضى عقود تصاغ بمعرفة محامينا الملعونين . أرجو المعذرة من قلبى يا لزبيا إذا

كنت مخطئا ، وهو ما أرجو أن أكونه .

كولنز : يا سلام يا جنرال . هذا شيء جديد عند ما يكون الطرفان من طبقة واحدة .

الأسقف : ليس شيئا جديدا يا كولنز . لقد فعله الرومان من قبل .

كولنز : نعم ، هذا شيء يفعله الرومان . عندما تكون فى روما فافعل ما يفعله الرومان . هكذا يقول المثل القديم . ولكننا لسنا فى روما الآن يا سيدى .

الأسقف : ولكننا اقتبسنا الكثير من نظمهم . ما رأيك فى نظام التعاقد يا كولنز ؟

كولنز : عندما يدور الحديث حول العقد يا سيدى فأنا دائما أقول : أرونى إياه مكتوبا على الورق . إذا كان التعاقد شفويا ، فليكن شفويا . أما إذا كان كتابة فليكن على الورق . وعندئذ نعرف أين نحن .

هوتشكس : هذا حق يا مستر كولنز ، فلنكتب المسودة فى الحال . هل تسمح لى أيها الأسقف أن أذهب إلى المكتب لآتى بالورق والقلم ؟

الأسقف : نعم يا سنجون .

(يذهب سنجون إلى المكتب)

كولنز : إذا سمحت لى أن أشير إلى إحدى الصعوبات يا سيدى ...

الأسقف : بالتأكيد(**يتجه نحو الكرسى الرابع إلى يسار الجنرال ، ولكنه قبل أن يجلس يشير إلى الكرسى عند طرف المائدة**

القريب من المدفأة) ألا تجلس يا مستر كولنز ؟ **(يجلس كولنز مقدراً للأسقف أدبه الجم . وعندئـذ يجلس الأسقف)** .

كولنز : نحن الآن ستة رجال وأربع سيدات . وهذا ليس عدلا .

رحنالد : تقصد أنه ليس عدلا بالنسبة للرجال .

ليو : أوه . رجي يقول شيئا يدل على الذكاء أيمكن أن أكون قد أخطأت فى تقدير مواهبه ؟

(يعود هوتشكس ومعه نشافـة وورق . يجلس فى المكان الخالى فى وسط المائدة بين لزبيا والأسقف) .

كولنز : أقول لكم الحق يا سيدى ويا سيداتى وسادتى : لست واثقا من صواب حكمى فى هذا الموضوع . توجد سيدة معينة أستشيرها دائما فى مثل هذه النقط الدقيقة . إن لديها خبرة غير عادية . ومزاجا مـدهشا ، وغريـزة للحكم على شؤون القلب .

هوتشكس : اسمح لى أن أقول لك يا مستر كولنز إننى قنزوح وأحذرك من أنه لا جدوى من استشارة من لن يسدى إلينا النصح بصراحة على أساس الفوارق بين الطبقات . فالزواج مناسب جدا للطبقـات الدنيـا . لأن لـدى أفرادهـا التسهيلات والفرص لكى يهجر أحد الزوجين زوجه ، وهى التسهيلات التى . حرمنا منها نحن . ما هو المركز الاجتماعى الذى تشغله هذه السيدة ؟

كولنز : أعلى مركز فى الحى يا سيدى . إنها العمدة . ولكـن

لا حاجة بك إلى أن تخشاها يا سيدى . فهى زوجة أخى (**إلى الأسقف**) لطالما تحدثت عنها إلى السيدة حرمك يا سيدى (**إلى مسز بردجنورث**) مسز جورج يا سيدتى .

مسز بردجنورث : (**مندهشة**) هى تريد أن تقول يا كولنز إن مسز جورج هذه شخصية حقيقية ؟

كولنز : (**مندهشا هو الآخر**) ألم تكونى تعتقدين فى وجودها يا سيدتى ؟

مسز بردجنورث : أبدا .

الأسقف : كنا نظن دائما أن مسز جورج شخصية أسمى من أن توجد . وما زلت غير مؤمن بوجودها يا كولنز . لابد أن نراها إن شئت أن أقتنع .

كولنز : لقد أذهلنى هذا إلى حد أننى .. يا إلهى ! إنها فى الكنيسة فى هذه اللحظة بالذات ، تنتظر مسيرة الزفاف .

الأسقف : فلنرها إذن (**كولنز يهز رأسه**) هيا يا كولنز . اعترف . لا وجود لشخصية كهذه .

كولنز : هذه الشخصية موجودة يا سيدى . إنها موجودة وأؤكد لك . اسأل جورج . صحيح أننى لا أستطيع أن أكشف عنها ولكنك تستطيع ذلك يا سيدى .

الأسقف : أنا !

كولنز : نعم يا سيدى أنت . لأنها حرمت على — لسبب لا أعرفه — أن أتحدث عنك أو أدعها تقابلك . لقد

طلبت منها أن تأتى إلى هنا صبيحة يوم من الأيام التى تقام فيها حفلات الزفاف فى الكنيسة لتساعدنى فى تنسيق الزهور أو شيء من هذا القبيل ، ولكنها دائما ترفض . أما إذا أمرتها أنت بالحضور — بوصفك أسقفها — فستأتى . إن لها تصرفات غريبة جدا . ابعث إليها بخاتمك يا سيدى — خاتمك الرسمى — ابعث به إليها بأسلوب لطيف — ولعل مستر هوتشكس هنا يتلطف ويأخذه إليها — تأتك حالا .

الأسقف : (**يخلع خاتمة ويعطيه لهوتشكس**) تكرم بأداء هذه المهمة .

هوتشكس : ولكن كيف أعرف هذه السيدة ؟

كولنز : لقد ذهبت إلى الكنيسة فى موكبها الرسمى يا سيدى ، يصحبها حامل الصولجان ، الذى سيدلك عليها . وسيجلس فى المقعد الأمامى من العربة عند عودتها .

هوتشكس : لا والله ! سامحنى أيها الأسقف . لا تطلب منى أكثر مما أطيق . لقد هربت من حرب البوير لأننى قتزوح . وأنا أهرب من حامل الصولجان للسبب نفسه . إننى أرفض هذه المهمة رفضا باتا .

الجنرال : (**يقف بمهابة**) تكرم بإعطائى هذا الخاتم يا مستر هوتشكس .

هوتشكس : بكل سرور (**يعطيه الخاتم**) .

الجنرال : سيكون لى عظيم الشرف يا مستر كولنز فى خدمة العمدة

طبقا لأوامر الأسقف . وسأكون فخورا عند العودة مكرما فى عربة البلدية .

(يخرج فى شهامة بينما يقف كولنز لحظة لينحنى له فى اعتداد واضح)

رجنالد : بوكسر رجل خدوم طيب .

هوتشكس : ولكن له فى بدلته الرسمية ميزة غير عادلة لأن جميع الأنظار ستتحول من حامل الصولجان إليه !

كولنز : أظن أننا نستطيع يا سيدى أن نمضى فى صياغة العقد فى فترة الانتظار . فالحق أنه لن تكون لدى أحد منا فرصة عندما تصل مسز جورج . فلنتم الجزء الكتابى من هذه المهمة قبل وصولها .

هوتشكس : لقد انتهيت من تدوين المواد الأساسية . **(يقرأ)** « تعاقد محرر بتاريخ ________ بين ________ من ________ بمحافظة ________ الذى يشار إليه باسم جنتلمان كطرف أول وبين ________ من ________ بمحافظة ________ التى يشار إليها باسم ليدى كطرف ثان ، تم بمقتضاه الاتفاق على ما يلى :» .

ليو : **(تقف)** قليلا من الأدب يا سنجون . اسم السيدة يأتى أولا .

(تذهب وراءه وتنحنى لتلقى نظرة على المسودة من فوق كتفه) .

هوتشكس : بالتأكيد . أرجو عفوك **(يصحح المسودة)**

ليو : وقد ذكرت سيدة واحدة وجنتلمانا واحدا فقط . يجب أن تذكر جنتلمانين .

كولنز : إنها مجرد شكليات يا سيدتى . فمن الممكن ذكر أى عدد من الرجال والسيدات .

ليو : ليس أى عدد من السيدات . سيدة واحدة فقط . ثم إن تلك المخلوقة ليست سيدة .

رجنالد : أنت لا تدركين الحقيقة يا ليو . هذه صيغة عامة للتعاقد مع أى شخص . وليس عقدك أنت .

ليو : إذن فما فائدته لى ؟

هوتشكس : ستستعينين به فى كتابة عقدك .

إيدث : أرجو ألا تكون هناك استعانة . فليكن رائدنـا الحق الواضح البين ، ولا شىء إلا الحق .

كولنز : نعم نعم ، سيكون كل شىء على ما يرام . إننا لا نخفى شيئا ، أؤكد لك . ما هو إلا نموذج للعقد .

إيدث : (**غير مقتنعة**) هذا ما أرجوه .

هوتشكس : ما هو البند الأول عادة فى أية اتفاقية ؟ أنت تعلم يا مستر كولنز .

كولنز : (**فى حيرة**) الحق يا سيدى أن باشكاتب البلدية هو الذى يعالج دائما مثل هذه الأمور . لم أعد أفكر لنفسى فى هذه المسائل الصغيرة . لعل سيدى الأسقف يعلم .

الأسقف : يؤسفنى أن أقول إننى لا أعلم . ولكن سومز يعلم . آليس : أين سومز ؟

هوتشكس : هناك (**يشير إلى المكتب**) .

الأسقف : (**مخاطبا زوجته**) حاولى أن تأتى به إلينا يا حبيبتى (**تذهب مسز بردجنورث إلى المكتب**) سومز هو راعى الكنيسة يا مستر كولنز . أصعب ما يواجه أساقفة الكنيسة الإنجليزية اليوم هو أن شئون الأسقفية تستوجب أن يكون الأسقف رجل أعمال قبل كل شىء ، يستطيع أن يجلس إلى مكتبه ١٦ ساعة فى اليوم . ولكن عاقبة وجود أساقفة من هذا النوع هى أن المصالح الروحية للكنيسة وما لها من نفوذ على أرواح الناس وأفئدتهم ، آخذة سريعا فى الذهاب إلى الشيطان ..

إيدث : (**مصدومة**) بابا !

الأسقف : أنا أتحدث عن الناحية الفنية ، لا كما يتحدث بوكسر . بل إن الأساقفة أنفسهم قد تمادوا فى هذا الاتجاه إلى حد أنهم أصبحوا مشهورين بأنهم أغبى الناس روحيا وأذكاهم تجاريا — وقد اهتديت إلى سبيل للتخلص من هذه الصعوبة . كان سومز متخصصا فى الشؤون القانونية . وقد تبينت أن سومز — رغم كونه رجل أعمال من الطراز الأول — له ماض عاطفى سرى . فقد كان أبوه من أقطاب طائفة المنشقين ، وكان يتحدث دائما عن الكنيسة الإنجليزية بازدراء ويسميها المرأة القرمزية . وقد انضم سومز إلى الكنيسة الإنجليزية سرا وهو فى الخامسة عشرة من عمره . وكان يتوق إلى أن

يصبح من رجال هذه الكنيسة ، ولكنه لم يجرؤ على ذلك لأن أباه كان ذا قلب ضعيف ، وكان يخشى أن يسقط ميتا إذا مس إحساسه أحد . ولعلكم تلاحظون أن ذوى القلوب الضعيفة هم طغاة الحياة العائلية الإنجليزية . وهكذا أصبح سومز المسكين من رجال القانون . وبعد أن مات أبوه — ومن الغريب حقا أنه مات من الحمى القرمزية وتبين أن قلبه كان سليما تماما — قمت بتنصيبه قسا وعينته راعيا للكنيسة . هو الآن سعيد غاية السعادة . وهو أعزب . يصوم أيام الجمع وأيام الصوم الكبير . ويرتدى المسح والقلنسوة . ويقوم الآن بأعمال قانونية تفوق ما كان يقوم به عندما كان يعمل محاميا . ثم هو جعلنى أتحرر وأتفرغ للشؤون الروحية والفقهية التى تناسب وظيفة الأسقف .

مسز بردجنورث : (**تعود من باب المكتب ومعها حقيبة بها أدوات التريكو**) ها هو . (**تجلس على مقعدها وتبدأ فى شغل التريكو**)

(**يدخل سومز فى مسحه وقلنسوته ويحيى الحاضرين ويباركهم بإصبعين**) .

هوتشكس : تعال مكانى يا مستر سومز (**يتخلى له عن كرسيه ويعود إلى البورية حيث يجلس**)

الأسقف : لم يعد يسمى مستر سومز يا سنجون . هو الآن الأب آنتونى .

سومز : (**يتخذ مقعده**) لقد تم تعميدى باسم أولفر كرومول سومز . لم يكن لأبى حق فى أن يفعل ذلك . ولذا سميت نفسى آنتونى . عندما تصبحون آباء يا سادة ، عليكم أن تحذروا الحذر كله ألا تلصقوا بالطفل آراء قد ينظر إليها فيما بعد نظرة استنكار .

الأسقف : هل شرحت لك آليس نوع الوثيقة التى تقوم بصياغتها ؟

سومز : نعم نعم ، فعلت هذا .

لزبيا : أنت تبدو كما لو كنت لا توافق .

سومز : لا حق لى فى أن أوافق أو لا أوافق . أنا أقوم بعمل كل ما يريد منى رئيسى الدينى أن أعمله .

الأسقف : كن كريما يا آنتونى . لا بد أن تسدى إلينا أحسن نصائحك .

سومز : نصيحتى إليكم جميعا هى أن تقوموا بواجبكم ، وذلك بأن تؤدوا اليمين المسيحية متعهدين بالتزام العزوبةوالفقر . لقد أنشئت الكنيسة لتضع حدا للزواج ، ولتضع حدا للملكية .

مسز بردجنورث : ولكن كيف يسير الكون يا آنتونى ؟

سومز : أدى واجبك وانظرى ما سيكون . إن قيامك بواجبك هو وظيفتك . أما جعل الكون يسير ، فهذا أمر زمامه فى يد عليا .

لزبيا : آنتونى ، التفاهم معك مستحيل .

سومز : (**يتناول ريشته**) أنت لا تأخذين بنصيحتى . لم أتوقع

منك أن تأخذى بها . أنا فى انتظار تعليماتكم .

رجنالد : لقد احترنا فى أمر البند الأول . كيف نبدأ ؟

سومز : يكون البدء عادة بذكر مدة العقد .

إيدث : ماذا يعنى هذا ؟

سومز : عدد السنوات التى يكون العقد فيها سارى المفعول .

ليو : ولكن هذا عقد زواج .

سومز : هل سيكون الزواج لعام أو لأسبوع أو ليوم ؟

رجنالد : أوه آنتونى ، أنت أسوأ منا جميعا . زواج ليوم !

سومز : الانحراف عن السبيل ، هو انحراف عن السبيل . بوصة أو ميل ، ماذا يهم ؟

ليو : إذا لم يكن الزواج إلى الأبد ، فلن أتزوج . إنه فى نظرى أمر مناف للأخلاق أن يكون الزواج لعدد من السنين . فى وسع الناس أن يحصلوا على الطلاق إذا لم يعجبهم الزواج .

رجنالد : ينبغى أن يكون الزواج للفترة التى يرغب فيها الطرفان . هذا رأيى .

كولنز : يبدو أنهم لن يتفقوا على هذه النقطة يا سيدى . فهى غالبا عسيرة بالنسبة لأحد الطرفين ، ويسيرة بالنسبة للآخر .

لزبيا : أرى أن يكون الزواج سارى المفعول طالما يحسن الرجل السلوك .

الأسقف : لنفرض أن المرأة لم تحسن السلوك ؟

مسز بردجنورث : ربما تكون المرأة قد فقدت جميع الفرص لزواج طيب من

شخص آخر . يجب عندئذ ألا يلقى بها فى عـرض الطريق .

رجنالد : وكذلك الرجل ! ماذا عن بيته ؟

ليو : يجب على الزوجة أن ترعى شئونه ، وأن تحرص دائما على راحته ، وأن ترى أنه يعتنى بنفسه عناية كافية . لأن الرجل الآخر لن يريدها طول الوقت .

لزبيا : وقد لا يكون هناك رجل آخر .

ليو : فلماذا إذن تترك زوجها ؟

لزبيا : لأنها تريد ذلك .

ليو : أوه . إذا سمح للناس أن يفعلوا ما يريدون أن يفعلوا ، فأنا أعتبر هذا أمرا منافيا للأخلاق (**تسير ساخطة نحو البوريه ، وتلقى بنفسها عليه ملاصقة لهوتشكس**) .

رجنالد : (**يرقبهما فى مرارة**) ولكنك تفعلين ذلك ، هه ؟

ليو : أوه ، ذلك أمر مختلف . لا تبد ذكاء أحمق يا رجى .

الأسقف : يبدو أننا لا نتقدم . ماذا ترى يا مستر كولنز ؟

كولنز : أنت ترى يا سيدى أن الناس تتحدث عن الزواج كما لو كان نوعا واحدا . ولكن عدد أنواع الزواج المختلفة يكاد يعدل عدد الناس المختلفين . فهناك الشباب الذين يتزوجون بدافع الحب وهم لا يدرون ما يفعلـون ، وهناك العجائز الذين يتزوجون بدافع المال والراحة والصحبة . ناس يتزوجون للرغبة فى إنجاب الأطفال . وناس لا نية لديهم فى إنجاب الأطفال ولا يصلحون لتربية

الأطفال . هناك من يتزوجون لأن الجنس الآخر يطاردهم فهم يريدون وضع حد لهذه المطاردة بوسيلة ما . وهناك من يريدون محاولة تجربة جديدة ، ومن يريدون الكف عن التجارب ، كيف ترضى هؤلاء جميعا ؟ انت تريد لذلك ستة أنواع مختلفة من العقود .

الأسقف : ما دام الأمر كذلك فلنقم بصياغتها جميعا ، فلنواجه الأمر .

رجنالد : ما الذى يضطرنا إلى البقاء معا زوجا وزوجة سواء شئنا أم أبينا ؟ هذا هو السؤال الذى يكمن وراء هذه المسألة .

مسز بردجنورث : بسبب الأولاد يا رجى .

كولنز : وحتى لهذا السبب يا سيدتى ، ما الذى يضطرنا إلى البقاء معا بعد أن يفشل الزواج .
عند ما تكون البنات قد تزوجن ، والصبية قد نزلوا إلى معترك الحياة ! عندما يتم هذا ، يكون الغرض من الزواج قد تم وانتهى . إذا شاء الزوجان أن يبقيا معا ، فليبقيا معا . أما إذا لم يشاءا ، فليفترقا كما يفترق العجائز فى المصانع . لقد سئم أحدهما الآخر . لقد عرف كل منهما حقيقة الآخر . لماذا يرتبط أحدهما بالآخر ليجلسا حيث يحقد كل منهما على الآخر ويكرهه ولا يطيق رؤيته شأن الكثيرين ؟ فلتكن مدة الزواج عشرين عاما يبدأ من مولد أصغر طفل .

سومز : وإذا لم يكن هناك أطفال ؟

كولنز : فليدم الزواج ما داما متحابين .

مسز بردجنورث : كولنز !

ليو : أيها العجوز الخبيث !

الأسقف : (**معاتبا**) لا . لا . لا .

لزبيا : وعلام تعيش المرأة إذا لم تعد محبوبة على حد قولك ؟

سومز : (**فى لهجة رسمية هازئة**) هناك اقتراح بأن تكون مدة العقد عشرين عاما تبدأ من مولد أصغر طفل عندما ينجب الزوجان أطفالا . هل من تعديل ؟

ليو : أنا أحتج . يجب أن يكون الزواج مدى الحياة . لن يكون زواجا أبدا ما لم يكن مدى الحياة .

سومز : مسز رجنالد بردجنورث تقترح أن يكون الزواج مدى الحياة . هل من مؤيد ؟

ليو : لا تكن رسميا جافا يا آنتونى .

لزبيا : لدى تعديل هام جدا . إذا كان هناك أطفال ، وجب أن يخرج الرجل من المنزل تماما لمدة عامين عقب ولادة كل طفل . ففى هذه الحالة يكون الرجل زائدا عن الحاجة ، ثقيل الظل ، مضحكا .

كولنز : ولكن إلى أين يذهب يامس لزبيا ؟

لزبيا : يستطيع أن يذهب حيث يشاء طالما هو لا يضايق الأم .

رجنالد : وهل تترك هى وحيدة ..

لزبيا : وحيدة ! إنها مع طفلها . ستكون المرأة المسكينة فى أشد حالات السرور لتخلو لنفسها لحظة . لا تكن سخيفا

يا رجى .

رجنالد : سيكون الأب طريدا متجولا بائسا ، يعيش فى ناديه ، ولا يرى إلا صديقات زوجته .

لزبيا : (**ساخرة**) مسكين !

هوتشكس : لعل صديقات الزوجة هن حل المشكلة . ذلك أن أزواجهن سيكونون هم الآخرون طريدين . وستحن الزوجات المسكينات إلى صحبة الرجال .

لزبيا : ليس هناك ما يمنع الأم من أن تنشد صحبة الرجال . ولكن ينبغى ألا يكون لها زوج .

سومز : هل من شيء آخر يا مس جرانثام ؟

لزبيا : لابد أن يكون لى بيت خاص مستقل ، أو جزء خاص مستقل من بيت . بوكسر يدخن ، وأنا لا أطيق رائحة التبغ . بوكسر يعتقد أن النافذة المفتوحة معناها الموت من البرد ومن التعرض لهواء الليل . أما أنا فلا بد لى من الهواء النقى دائما . نستطيع أن نكون صديقين ، ولكن لا نستطيع أن نعيش معا . وهذا ما يجب أن يتضمنه العقد .

إيدث : أما أنا فلا أعترض على التدخين . وأما فيما يتعلق بفتح النوافذ ، فإن سيسل سيفعل بالطبع ما يلائم صحته .

الأسقف : ومن سيكون الحكم فى ذلك يا عزيزتى ؟ أنت أم هو ؟

إيدث : لا هو ولا أنا . يجب أن نفعل ما يأمر به الطبيب .

رجنالد : فليذهب الطبيب إلى ..

ليو : (**محذرة**) رجى !

رجنالد : (**مخاطبا سومز**) اتبع نصيحتى يا آنتونى . ضع فى هذا العقد نصا على أن الطبيب لن يكون له رأى . وكفى الطرفين شرا أن يتزوج أحدهما الآخر دون أن يكونا كلاهما متزوجين من الطبيب كذلك .

لزبيا : هذا يذكرنى بأمر فى غاية الأهمية . بوكسر يعتقد فى التطعيم ضد الأمراض ، أما أنا فلا . لابد إذن أن يكون هناك نص على أن أتخذ أنا قرارا فى مثل هذه الأمور بما أراه أفضل .

ليو : (**مخاطبة الأسقف**) والتعميد يكاد يقترب فى أهميته من التطعيم . أليس كذلك ؟

الأسقف : جرت العادة باعتباره كذلك يا عزيزتى .

ليو : سنجون يهزأ من التعميد ويقول إن الإشبين يدعو إلى السخرية . لا بد أن يكون لى حق البت فى ذلك .

رجنالد : سيكون الأولاد أولاده كما هم أولادك .

ليو : لا تكن قليل الذوق يا رجى .

إيدث : لقد نسيتم مسألة هامة جدا ، وهى المال .

كولنز : آه ! المال ! الآن نبحثها .

إيدث : عندما أتزوج لن يكون لى من المال إلا ماكسبه .

الأسقف : أنا آسف يا سسيل ، فإن ابنة الأسقف ماهى إلا ابنة رجل فقير .

سايكس : أرجو ألا يدور بخلدك أننى سأجعل إيدث تعمل عندما

نتزوج . أنا لست غنيا . ولكن لدى من المال ما يكفى ليوفر عليها هذا العناء . وعندما تموت أمى ..

إيدث : كلام فارغ ! بالطبع سأعمل عندما أتزوج . سأدير منزلك .

سايكس : أوه ، هذا !

رجنالد : هل تسمين ذلك عملا ؟

إيدث : ألا تسميه أنت عملا ؟ لقد اعتادت ليو أن تقوم به بدون مقابل . ولذلك فلا شك فى أنك لم تكن تعتبره عملا على الإطلاق . هل تقوم به مديرة بيتك الحالية بدون مقابل ؟

رجنالد : ولكن ذلك سيكون جزءا من واجبك كزوجة .

إيدث : ليس بمقتضى هذا العقد . فهذا ما لا أوافق عليه . إذا كنت أنا التى ستدير البيت ، فسأنتظر من سسيل أن يدفع لى على الأقل كما يدفع لمديرة البيت . فأنا لا أقبل أن أذهب إليه مستجدية فى كل مرة أريد فيها فستانا جديدا أو أجرة تاكسى ، كما يفعل كثير من النساء .

سايكس : أنت تعلمين حق العلم يا إدى أننى لن أبخل عليك بشىء .

إيدث : إذن فلا تبخل على با ستقلالى واحترامى لنفسى . أنا أصر على هذا ، إنصافا لك يا سسيل ، لأن هذه الوسيلة ستكفل لى مبلغا من المال خاصا بى وحدى . وإذا اتخذ « سلاتوكس » أى إجراء ضدك بسبب أى شىء أقوله ، استطعت عندئذ أن تدفع التعويض وتخصمه من مرتبى .

سومز : نسيت أنه لن يكون مسئولا عنك بمقتضى هذا العقد ، لأنك لن تكونى زوجته أمام القانون .

إيدث : كلام فارغ ! بالطبع سأكون زوجته .

كولنز : (**وقد ثار فضوله**) هل اتخذ سلاتوكس ضدك إجراء ما يا مس إيدث ؟ سلاتوكس عضو معى فى المجلس البلدى . هل أستطيع أن أسوى هذه المسألة ؟

إيدث : هو لم يتخذ أى إجراء ، ولكن سسيل يقول إنه قد يفعل .

كولنز : ولماذا يا مس إيدث ، إذا أذنت لى فى السؤال ؟

إيدث : سلاتوكس كذاب ولص . ومن واجبى أن أكشفه .

كولنز : أنت تدهشيننى يا آنسة . سلاتوكس كذاب بطبيعة الحال ، إلى حد ما . وإن سمحتم لى أن أكون صريحا دون أن أمس شعور أحد منكم ، فإننا جميعا كذابون ، ولو على الأقل بقصد محافظة كل منا على شعور الآخر . ولكننى لا أوافق على نعت سلاتوكس بأنه لص . إنه ليس كما ينبغى أن يكون ، ولكنه يدفع بطريقته الخاصة .

إيدث : إذا كنت تقول بطريقة لطيفة إن سلاتوكس غير جدير بالمرة بأن يكون تحت سلطته مائتا فتاة كإماء ، فسأقول عنه شيئا آخر فى أول اجتماع مقبل أخطب فيه . سأقول إنه يسرق أجورهن بحجة فرض الغرامات عليهن . ويسرق طعامهن بحجة شرائه لهن . وهو بكذب حين ينكر أنه يفعل ذلك . ثم هو يفعل أشياء أخرى كما تعلم

يا كولنز . ولذا فإننى أحيطك علما بأننى سأكشف عن حقيقته أمام إنجلترا بأسرها دون أقل مراعاة لعواقب ذلك بالنسبة إلى .

سايكس : ولا بالنسبة إلى ؟

إيدث : أنا أتعرض للمخاطر على قدم المساواة بينى وبينك . فلنفرض أنك رأيت من واجبك أن تطلق النار على سلاتوكس ، فماذا يكون من أمرى أنا والأطفال ؟ أنا لا أريد إطلاق النار على أحد ، ولا حتى سلاتوكس . ولكن إذا كان الجمهور لن يعرف المساوىء والشرور ، بل حتى ولا أظهرها للعينان ، إلا إذا أطلقت النار على أحد . فما عسى يفعل الناس غير إطلاق النار على أحد ؟

سومز : (فى ضجر) أنا فى انتظار التعليمات عن مدة الاتفاق .

رجنالد : **(وقد نفد صبره ، يترك المدفأة ويذهب خلف سومز)** لا جدوى من تشعب الحديث بهذا الشكل ، وإلا بقينا هنا طول النهار . أنا أقترح أن يكون الاتفاق سارى المفعول إلى أن يتم طلاق الطرفين .

سومز : لا يمكن أن يكون هناك طلاق ، فهما لن يتزوجا .

رجنالد : ولكن إذا لم يمكن طلاقهما كان ذلك أسوأ من الزواج .

مسز بردجنورث : بالطبع . كفوا عن هذا العبث . فى حضانة من سيكون الأطفال ؟

لزبيا : لقد اتفقنا فعلا على أن يكون الأطفال فى حضانة الأم .

رجنالد : لا ، لم يحدث هذا . سأقاتل فى سبيل ملكية أولادى إلى آخر رمق . وكذلك سيفعل عدد كبير من الرجال .

إيدث : يبدو لى أنه لابد من تقسيمهم بين الوالدين . إذا شاء سسيل أن يكون بعض الأطفال له وحده ، فلا بد له أن يدفع لى مبلغا معينا مقابل العناء والخطر اللذين تعرضت لهما عند إنجابهم إلى هذه الحياة ، فلأقل ألف جنيه عن كل طفل . أما الأرباح التى تستحق عن هذا المال فيمكن أن تخصص لتربية الطفل طالما كنا نعيش معا . ولكن المال نفسه يكون ملكى . وبهذه الطريقة ، إذا انتزع سسيل الطفل منى ، أكون قد حصلت على الأقل على ما كلفنى إياه الطفل .

مسز بردجنورث : (**تضع التريكو فى دهشة**) إيدث ! من ذا الذى سمع بشىء كهذا ؟

إيدث : كيف إذن تسوين هذه المسألة ؟

الأسقف : هناك الطفل المفضل . ماذا يكون من أمر الطفل الأصغر ، الذى ينجبه الوالدان بعد أن يكونا قد بلغا سن النضوج وعمل البر ، الطفل الذى يلقى دائما من المعاملة والحب خيرا مما يلقاه الأولاد الأكبر سنا والأتعس حظا إذ يولدون والوالدان فى جهل الشباب وعناده ؟ أىّ الوالدين تكون له ملكية الطفل ، سواء أكان هناك دفع أم لا ؟

كولنز : يوجد طرف ثالث يا سيدى الأسقف . الطفل نفسه . إن زوجتى مغرمة بأولادها أشد غرام بحيث لا يستطيعون أن يقولوا إنهم يتصرفون فى حياتهم وفق

هواهم . فهم جميعا يفرون من البيت هربا منها . فالطفل ليست لديه مالدى الشخص البالغ من شهية للحب . قليل منه يكفى الأطفال أمدا طويلا . وهم يحبون تقليد الحب أكثر من الحب الحقيقى كما تعرف كل مربية .

سومز : هل أنت على يقين من أن أى واحد منا — كبيرا أم صغيرا — يحب الشيء الحقيقى كما يحب تقليدا فنيا له ؟ أليس الشيء الحقيقى مغضوبا عليه ؟ أليس أقرب الناس إلى القلوب هم الممثلون الأكفاء وليس من يتألمون بحق ؟ أليس الحب يشوه ويمسخ فى القصص والمسرحيات حتى يبدو مقبولا محتملا ؟ لقد لاحظت فى نفسى متعة عظيمة عند مشاهدة صور القديسين والسيدة العذراء ، ولكن عندما أنوء بعبء أفظع لعنة يتحملها القسيس — اللعنة التى تحملها يوسف إذ طاردته امرأة العزيز — عندئذ أرتدع وأمتلىء رعبا .

هوتشكس : هل تتحدث الآن كقديس أيها الأب آنتونى ، أم كمحام ؟

سومز : لا فرق . فليست هناك شريعة مسيحية للمحامين وأخرى للقديسين . إن قلوبهم متشابهة . وسبيلهم للخلاص هى السير فى طريق واحد .

الأسقف : ولكن « قليلون هؤلاء الذين يهتدون إليه » . هل تستطيع أن تجده لنا يا آنتونى ؟

سومز : إنه واضح أمامك . إن الطريق إلى الهلاك هو الضيق

المتعرج . الزواج منكر ، أنشئت الكنيسة لتمحوه وتضع في مكانه مخالطة القديسين . لم أتعلم هذا من كل تسوية زواج قمت بها كمحام فحسب ، بل تعلمته كذلك عن طريق الوحي . لقد اجتمعتم هنا لتسجلوا خطيئتكم على الورق . وهأنتم أولاء لا تستطيعون الاتفاق على بند واحد ولا تطيقون هذا البند الواحد .

سايكس : غريب حقا أن ينهار كل شيء بمجرد تدخلك فيه .

الأسقف : إذا أنت أعطيت الشيطان حقه هزمته . إنه لم يستطع أن يصوغ حتى البند الأول من الاتفاق . أظن أننا لا نستطيع الانتظار أطول من ذلك .

لزبيا : إذن فليمض المجتمع بدون أولادي .

إيدث : وليمض سسيل بدوني .

ليو : (**تنهض من فوق البوريه**) وأنا قطعاً لن أتزوج سنجون إذا هو لم يكن ذكياً بحيث يصوغ بندا ينص على رعايتي رجي . (**تترك هوتشكس وتعود إلى كرسيها عند طرف المائدة خلف مسز بردجنورث**)

مسز بردجنورث : وستكون نهاية العالم في هذا الجيل على ما أظن .

كولنز : ألا يمكن عمل شيء يا سيدي ؟

الأسقف : يمكن جعل الطلاق أمراً معقولا ومقبولا . هذا كل ما في الأمر .

لزبيا : شكرا على لا شيء . إذا جعلت الزواج معقولا ومقبولا ، استطعت أن تفعل ما تشاء بالطلاق . أنا لم

أعرب عن عميق معارضتى للزواج . ولا نية لدى فى ذلك . هناك حقوق معينة لن أمنحهـا لأى شخص لتكون له على .

رجنالد : أظن أن من الصعب على الرجل أن يعول زوجته أعواما ، وتفوته الفرصة للحصول على زوجة صالحة حقا ، ثم تأتى فترفض أن تكون زوجته .

لزبيا : لن أناقشك فى ذلك يـا رجـى . إذا كان إحساسك بكرامتك يحول بينك وبين الفهم ، فلا شىء يجعلك تفهم .

سومز : (**فى غل**) ما زلت فى انتظار تعليماتى .

(**ينظر كل منهم إلى الآخر ، كل ينتظر من الآخر أن يقول شيئا . صمت**) .

رجنالد : (**دون تحديد**) أظن .. بعد كل شىء .. الزواج أفضل من .. أفضل من البديل المعتاد .

سومز : (**منقلبا عليه بقسوة**) بأى حق تقول هذا ؟ أنت تعلم أن الخطايا التى تنهك هذه الأمة وتورثها الجنون هى تلك التى ترتكب فى الزواج .

كولنز : ولكن العزاب لا يستطيعون إشباع حاجتهم إلى الحب كما يفعل المتزوجون .

سومز : دعنا من هذا كله ، قلت لك . لديكم تعاليم السيـد المسيح . أطيعوها .

هوتشكس : (**ينهض ويتكىء على ظهر الكرسى الذى تركه الجنرال**

شاغرا) يجب أن أبين لك يا أب آنتونى أن الأحكام المسيحية الأولى المتعلقة بالحياة لم يكن مقصودا لها الدوام ، لأن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن الحياة نفسها ستدوم . ونحن نعلم الآن أننا نمضى فى الحياة . وقد علمنا أن وراءنا ملايين السنين . ونعلم أن أمامنا ملايين أخرى . وما زال سؤال مسز بردجنورث باقيا بدون جواب . كيف يسير الكون ؟ أنتم تقولون إن ذلك ليس من شئوننا ، إنه من شئون العناية الإلهية . ولكن الرأى المسيحى الحديث هو أننا هنا لنتولى شئون العناية الإلهية ولا شىء آخر . والسؤال هو : كيف ؟ أليس من حقى أن أستخدم عقلى لأعرف كيف ؟ أليس ذلك هو السبب الذى من أجله وجد عقلى ؟ كل ما يقوله لى عقلى الآن ، هو أنك مهووس لا تطاق وغير عملى .

سومز : وهل يساعد ذلك فى حل المشكلة ؟

هوتشكس : لا .

سومز : إذن فصل من أجل الهداية .

هوتشكس : لا . أنا قنزوج ولست بشحاذ (**يجلس فى مقعد الجنرال**) .

كولنز : لا يبدو أننا نتقدم أبدا . مس إيدث : الأفضل أن تذهبى أنت ومستر سايكس إلى الكنيسة على أن تتفقا فيما بعد على ما هو صواب وما هو خطأ . سيريح ذلك عقليكما . صدقانى . أنا أتحدث عن خبرة . ستحرقون

سفنكم . كما يقول المثل .

سومز : يجب ألا نحرق سفننا أبدا . إنه الموت حيا .

كولنز : لا ريب أيها الأب إن لك آراءك الخاصة . وإنك لا تخشى الجهر بها . ولكن بعضنا ذو طبيعة أبهج من هذا . ولو كنت أنت الآن فى مجلس البلدية لكنت أقلية وحدك . يجب أن تتقبل الطبيعة البشرية كما هى .

سومز : وما الذى يضطرنى إلى هذا ؟ أنا أتقبل الطبيعة الإلهية كما هى ، ولن أحمل شمعة للشيطان .

الأسقف : هذه الطريقة فى معاملة الشيطان ليست مسيحية بالمرة .

رجنالد : يبدو أننا لا نتقدم أبدا .

الأسقف : هل تتخلين عن كل هذا وتتزوجين يا إيدث ؟

إيدث : لا . إن ما أقترحه يبدو لى معقولا جدا .

الأسقف : وأنت يا لزبيا ؟

لزبيا : أبدا .

مسز بردجنورث : أبدا كلمة طويلة يا لزبيا . لا تقوليها .

لزبيا : (**فى لمحة غضب**) لا تشفقى على يا آليس ، أرجوك ، أنا — كما قلت من قبل — سيدة إنجليزيـة ، على أتم استعداد لأستغنى عن أى شىء لا أستطيع الحصول عليه بشروط مشرفة .

سومز : (**بعد صمت ينبىء عن الحبوط التام**) ما زلت أنتظر تعليماتى .

رجنالد : يبدو أننا لا نتقدم أبدا .

ليو : (**نافذة الصبر**) لقد قلت هذا من قبل يا رجى . لا تكرر ما قلته .

رجنالد : أوه ، كفى هراء !(**يذهب إلى باب الحديقة وينظر إلى الخارج فى وجوم**) .

سومز : (**يقف والأوراق فى يديه**) هه ! (**يمزقه إربا**) يكفى هذا لعقدكم !

صوت حامل الصولجان : بعد استئذانكم أيها السادة . أفسحوا الطريق للعمدة . أفسحوا الطريق لصاحبة العصمة العمدة أيها السادة (**يدخل من باب البرج ، مرتديا قبعة ذات قمة مثلثة ومعطفا موشى بالذهب ، يحمل صولجان البلدية ، ويقف عند المدخل**) بعد استئذانكم أيها السادة . أفسحوا الطريق لصاحبة العصمة العمدة .

كولنز : (**يتراجع نحو الحائط**) مسز جورج يا سيدى . (**مسز جورج عمدة من الرأس إلى القدم بالنسبة إلى ما ترتديه من زى ذى طراز خاص . وهى ترتديه فى أناقة متناهية . لا شىء هادئ فى مسز جورج ، فهى لا تخشى الألوان ، وتعرف كيف تستخدمها أحسن استخدام . وهى أبعد من أن تكون سيدة بالمعنى الذى تقصده لزبيا من هذه الكلمة كدليل على طبقة معينة ، ولذا فهى تبدو من النظرة الأولى امرأة ظافرة ، منعمة ،**

صلبة الرأى ، حية أشد الحياة ، عاشت دائما غنية بين فقراء . ولو كانت فى متحف تاريخى لعرفنا سر غرام إدوارد الرابع بزوجات أصحاب الحوانيت . أما عمرها ، الذى هو أربعون عاما بالتأكيد ، وقد يكون خمسين ، فيتضاءل أمام حيويتها ، وقوامها اللدن ، ومظهرها الواثق المطمئن . إنها حتى الآن امرأة مصون ، إلا أن جمالها قد تحطم ، شأنه شأن بقعة جميلة من الأرض لا عمر لها شوهتها حرب طويلة الأمد ضروس . أما عيناها فكلهما حياة ، تأسران ، وتطاردان . وما زالت هناك بقية من جمال رقيق وكبرياء فى ذقنها الجموح . ولكن وجنتيها نحيلتان مجعدتان ، وفمها مفتول يدعو إلى الرثاء . الوجه كله ميدان لمعركة بين العواطف ، وجه يثير الأسى والإشفاق ، إلى أن تتكلم ، فعندئذ تتجدد حيويتها إذ تتيقظ فيها روح الفكاهة فى لحظة فتجعل معشرها لا يقاوم .

(يقف الجميع ما عدا سومز الذى يجلس . تنضم ليو إلى رجنالد عند باب الحديقة . تهرول مسز بردجنورث نحو باب البرج لتستقبل ضيفتها ، وما تكاد تبلغ مقعد سومز حتى تبدو مسز جورج . هوتشكس ، إذ يبدو أنه يعرفها ، يتسلل فزعا نحو باب المكتب عند أبعد ركن فى الغرفة منها)

مسز جورج : (**متجهة رأسا نحو الأسقف والخاتم فى يدها**) هذا هو خاتمك يا سيدى . وهأنذى . وأرجو أن تذكر أن هذه إرادتك وليست إرادتى .

الأسقف : كرم منك أن تأتى .

مسز بردجنورث : كيف حالك يا مسز كولنز ؟

مسز جورج : (**تتجه إليها مارة بالأسقف وتحدق فيها عن عمد**) هل أنت زوجته ؟

مسز بردجنورث : زوجة الأسقف ؟ نعم .

مسز جورج : يا له من نصيب ! ومع ذلك فأنت تبدين كأية امرأة أخرى .

مسز بردجنورث : (**تقدم لزيبا**) أختى ، مس جرانثام .

مسز جورج : ذات الشأن العجيب فى حياة الجنرال ؟

الأسقف : أنت تعرفين قصة حياته إذن .

مسز جورج : لا أعرفها كلها . لقد وصلنا إلى البيت قبل أن يتم روايتها لى . ولكنه روى لى ما يكفى لأعرف الدور الذى قامت به مس جرانثام فى حياته .

مسز بردجنورث : (**تقدم ليو**) مسز رجنالد بردجنورث .

رجنالد : مسز رجنالد بردجنورث سابقا .

ليو : امسك لسانك يا رجى . كن لطيفا حتى يصدر حكم المحكمة على الأقل .

مسز جورج : (**مخاطبة ليو**) لديك متسع من الوقت أكثر مما لديه لتتزوجى من جديد .

مسز بردجنورث : (**تقدم هوتشكس**) مستر سنت جون هوتشكس .
(**هوتشكس ، وهو ما يزال منزويا عند باب المكتب ، ينحنى**) .

مسز جورج : ماذا ! (**تدور نصف دورة فى المطبخ تنتهى بها أمامه**) اسمع يا رجل . هل تذكر يوم جئت إلى دكانى لتقول لى إن الفحم الذى يبيعه زوجى لا محل له فى قبو بيتك ، لأن الطبيعة قصدت أن يكون مكانه فى السقف ؟

هوتشكس : أذكر تلك الوقاحة المؤسفة بالخزى والعار . كنت لطيفة معى ، وكان جوابك أن مستر كولنز يبحث عن شاب ذكى يقوم بكتابة الإعلانات ، وأننى أستطيع أن أقبل الوظيفة إن شئت .

مسز جورج : ما زالت الوظيفة شاغرة (**تنتقل إلى إيدث**) .

مسز بردجنورث : ابنتى إيدث (**تسير نحو باب المكتب لتقوم بتعريفهما**) .

مسز جورج : العروس ! (**تنظر إلى جاكنة إيدث**) لن تتزوجى ف هذه الملابس هه ؟

الأسقف : (**يدور حول المائدة إلى يسار إيدث**) هذا هو ما كنا نبحث فيه . هل تتكرمين بالانضمام إلينا ، وتسمحين لنا بالانتفاع بحكمتك وخبرتك ؟

مسز جورج : هل تريد حامل الصولجان هو الآخر ؟ إنه رجل متزوج .

(**يلتفتون جميعا ، بطريقة لا إرادية ، إلى حامل**

الصولجان ، الذى يتلقى نظراتهم بثبات ومهابة)

الأسقف : نحن نرى أن عدد الرجال هنا أكثر من أن يكون فيه إنصاف للنساء .

مسز جورج : أنت على حق يا سيدى (**تعود إلى باب البرج وتتحدث إلى حامل الصولجان**) اذهب بهذه الشخشيخة يا جوزيف . انتظرنى فى أى مكان تراه مريحا بالقرب من هنا (**ينسحب حامل الصوجان . ترى كولنز لأول مرة**) هالو . بل . لقد ارتديت زيك الرسمى أنت الآخر . اذهب واشتر كأسا لجوزيف . مع السلامة (**يخرج كولنز . تنظر إلى قلنسوة سومز ومسحه**) ماذا ! زى رسمى آخر ! هل أنت خادم الكنيسة ؟ (**يقف**)

الأسقف : راعى الكنيسة ، الأب آنتونى .

مسز جورج : (**تلاطف سومز**) أرجو ألا تغضب .

سومز : أنا لا أبالى إلا بواجباتى .

الأسقف : أظن أنك عرفت الجميع الآن .

مسز جورج : (**تنتقل إلى الكرسى ذى القضبان**) من هذا ؟

الأسقف : أوه ، أرجو المعذرة يا سسيل ، مستر سايكس . العريس .

مسز جورج : (**مخاطبة سايكس**) ازينت للتضحية ، هه ؟

سايكس : من المشكوك فيه الآن أن تكون هناك أية تضحية .

مسز جورج : أريد أن أتحدث مع النساء أولا . هل نصعد إلى أعلى

لنلقى نظرة على الهدايا والملابس ؟

مسز بردجنورث : إن شئت ، بكل تأكيد .

رجنالد : ولكن الرجال يريدون أن يسمعوا ما ستقولينه .

مسز جورج : سأتحدث إليهم فيما بعد ، واحدا واحدا .

هوتشكس : (**مخاطبا نفسه**) يا رب !

مسز بردجنورث : من هنا يا مسز كولنز (**تتقدمهن إلى الخارج من باب البرج ، تتبعها مسز جورج ولزبيا وليو وإيدث**) .

الأسقف : هل نحاول بحث ما بقى من خطابات يا سومز أثناء غيابهن ؟

سومز : نعم . (**يخاطب هوتشكس الذى يقف فى طريقه**) تسمح ؟

(**يدخل الأسقف وسومز إلى المكتب بعد أن يضطرا هوتشكس إلى التحرك من مكانه ، وهو الذى كان غارقا فى غيبوبة فكرية نسى فيها أين هو . وإذ يوقظه سومز ، يحملق فى شرود . وفجأة تنتابه موجة من التصميم فيسرع نحو منتصف المطبخ**)

هوتشكس : سسيل . رجى (**يسارعان إليه بعد أن أذهلهما تصرفه ولهجته**) أنا آسف جدا للهروب اليوم . ولكن لابد لى من الهروب . والسبب فى هذه المرة هو الجبن لا أكثر ولا أقل لا حيلة لى فى الأمر .

رجنالد : مم تخاف ؟

هوتشكس : لا أدرى . استمعا إلى . كنت شابا أحمق أعيش بمفردى

فى لندن . وقد طلبت أول طن من الفحم من زوج هذه المرأة . لم أكن أدرى فى ذلك الحين أنه ليس من الاقتصاد فى شيء أن يشترى المرء أرخص الأصناف . كنت أظن أن أنواع الفحم جميعا سيان ، فاشتريت من النوع الذى سعره ١٣ شلنا لأنه كان رخيصا . ثم اتضح ، على غير ما كنت أتوقع ، أنه أردأ الأنواع . وفى سورة غضبى ذهبت إلى الدكان حيث ظهرت بمظهر الأبله كما وصفتنى .

سايكس : وماذا فى هذا ؟ اضحك يا رجل .

هوتشكس : أضحك على هذا ، نعم . ولكن هناك ما هو أسوأ . لك أن تتصور بشاعة حالى عندما أذهب إلى تاجر الفحم لأقدم له شكوى تافهة من مدفأتى التى استحالت إلى بطارية من المدافع السريعة الطلقات فأواجه بزوجته الوقحة ، وأشعر بانفعال غير عادى لوجودها ، شعور بعدم الاستقرار ، شعور برغبة لا تنطفئ . لن أثير اشمئزازكم بذكر تفاصيل ما تلا ذلك اللقاء من جنون وحماقة . ولكننى سأذكر لكم إلى أى مدى وصلت بى الحال . لقد وجدت نفسى أحوم حول الدكان ليلا تحفزنى ضرورة يائسة إلى أن أكون بالقرب من أى مكان كانت فيه . وقد أيقنت بمبلغ جنونى عندما أحسست بإغراء بشع يدفعنى إلى تقبيل عتبة الباب لأن قدمها مرت فوقها . واستطعت أن أنتزع نفسى من لندن بعد جهد

جهيد . ولكننى كنت على وشك العودة منجذبا إليها كما تنجذب الإبرة إلى المغناطيس ، عندما أنقذنى نشوب الحرب . وفى ساحة القتال ذهبت عنى الفتنة . وأصبحت رجلا جديدا بعد حادث « بلليتر » . أحسست أننى خلفت ورائى إلى الأبد حماقات الأيام الأولى وتصرفاتها الصبيانية . ولكن قبل نصف ساعة .. عندما بعث الأسقف بخاتمه . أحسست فجأة بيد تعصر قلبى عصرا فامتلأت نفسى بشعور من الرعب والفزع لا أستطيع أن أسميه .. أنا .. أنا الذى لا أخشى شيئا ! ولقد تبينت السبب عندما رأيتها تدخل هذه الغرفة . سسيل : هذه المرأة عقاب ، جنية ، حورية ، مصاصة دماء . ليست أمامى إلا فرصة واحدة : الفرار ، الفرار السريع فى هذه اللحظة . اعتذر بالنيابة عنى . انسنى . الوداع **(يهم بالتوجه إلى الباب فيواجه بمسز جورج داخلة)** فات الوقت . ضعت **(يعود ويلقى بنفسه فى يأس فى أقرب كرسى من باب المكتبة ، وهو أبعد الكراسى عنها)** .

مسز جورج : **(تسير نحو المدفأة وتخاطب رجنالد)** مستر بردجنورث : هل تتكرم بأن تتركنى مع هذا الشاب ؟ أريد أن أتحدث إليه كأم ، فى مشكلتكم .

رجنالد : نعم يا سيدتى . إنه فى أشد الحاجة إلى ذلك هيا بنا يا سايكس **(يذهب إلى المكتب)**

سايكس : (**ينظر إلى هوتشكس نظرة تردد**) ..

هوتشكس : فات الوقت . لا تستطيع أن تنقذنى الآن يا سسيل . اذهب . (**يذهب سايكس إلى المكتب . تتهادى مسز جورج متجهة إلى هوتشكس وتمعن النظر فيه بفضول**)

هوتشكس : لا فائدة من إطالة هذه المحنة (**يقف**) امرأة مميتة .. لو كنت امرأة حقا ولست شيطانا فى شكل امرأة ..

مسز جورج : هل قرأت هذا فى كتاب ؟ أم هذا هو الحديث تتبادلونه فى المجتمعات ؟

هوتشكس : (**فى تهور**) لا داعى للتهكم . إن القوة التى تكتسحنى لن تبقى عليك . لابد أن أعرف أسوأ الأنباء الآن . ماذا كان أبوك ؟

مسز جورج : كان صاحب مطعم وتزوج الفتاة التى كانت تدير البار فى مطعمه .

هوتشكس : إذن فأنت امرأة أدنأ منى من جميع النواحى . هل تنكرين ذلك ؟ هل لديك أية مزاعم عن كونك نداً لى فى المقام أو السن أو الثقافة ؟

مسز جورج : هل أكلت شيئا لا يتفق ومعدتك ؟

هوتشكس : (**متخاذلا**) منحطة !

مسز جورج : شكرا . هل من شىء آخر ؟

هوتشكس : نعم . أحبك . ونواياى ليست شريفة (**لا تبدى أى استنكار**) اصرخى . دقى الجرس . اجعليهم يطردونى

من البيت .

مسز جورج : (**يعتربها فجأة شعور صادق عميق**) لو استطعت أن تعيد إلى هذا القلب الضائع المنهك شعاعا واحدا من العاطفة التى انبعثت مرة عند النظرة .. عند لمسة حبيب ! إذن لصرخت أنت أيها الشاب . هل ترى هذا الوجه ، الذى كان يوما غضا فى لون الورد كوجهك ، والذى شوهته الآن وغضنته مئات النيران التى انطفأت ؟

هوتشكس : (**فى عنف**) نار إردواز ، ١٣ شلن للطن . نار تقذف بشهب مدمرة ، تعمى وتحرق ، وتجعل الرجال يخرجون إلى الشوارع ليسخر الناس منهم .

مسز جورج : يبدو أن ما حدث ترك فى نفسك آثارا قوية جدا يا سنجون .

هوتشكس : لا تجرئ على مناداتى بسنجون .

مسز جورج : اسمى زنوبيا ألكساندرينا . تستطيع أن تنادينى بوللى على سبيل الاختصار .

هوتشكس : اسمك عشتروت ، ديرجا[1] ، لم يخترع بعد اسم يناسبك فى الأذى والسوء .

مسز جورج : (**تجلس مستريحة**) هل تظن حقيقة أنك أليق بهذه

---

(١) عشتروت هى معبودة الفينيقيين كانوا يقدمون لها الذبائح البشرية ولها آثار رائعة فى دير القلعة بلبنان .
وديرجا إحدى آلهة الهند (المحرر)

الفتاة السليطة اللسان من زوجها ؟ أنت تستمتع بصحبتها عندما تكون صديق الأسرة فحسب ، عندما يكون هناك زوج تتباهى أمامه ويتحمل هو كل المسئولية . هل أنت متأكد أنك ستستمتع بصحبتها هذا الاستمتاع نفسه عندما تكون أنت الزوج ؟ إنها ليست ذكية كما تعلم . إنما هى ذكية فى غباء .

هوتشكس : (**يتكىء على المائدة فى اضطراب ويتمسك بها ليسيطر على حركاته العصبية**) وهل أنت فى حاجة إلى تذكيرى بهذا ؟ يا شيطانة .

مسز جورج : كنت تسلى الزوج ، أليس كذلك ؟

هوتشكس : روح الفكاهة لديه أكثر مما لديها . هو أحسن منها أصلا ونشأة . ليست تلك غلطتى .

مسز جورج : زوجى حسن النكتة هو الآخر .

هوتشكس : تاجر الفحم ؟ .. أعنى تاجر الإردواز ؟

مسز جورج : (**فى شغف**) كم يحب أن يسمعك تتكلم ! لم يكن فى حالته الطبيعية أخيرا لحاجته إلى صحاب جدد وتسلية جديدة .

هوتشكس : (**يطوح بأحد الكراسى أمامها ويجلس متماديا فى محاولته لأن يكون وقحا**) وبالله عليك ما الذى يحب زوجك البائس فى ؟

مسز جورج : هل تحبنى ؟

هوتشكس : أمقتك .

مسز جورج : نفس الشيء .

هوتشكس : إذن فقد ضعت .

مسز جورج : تستطيع أن تأتى لزيارتى إذا وعدت أن تدخل السرور إلى نفس جورج .

هوتشكس : سأهينه ، سأسخر منه ، سأمسح حذائى فيه .

مسز جورج : لن تفعل شيئا من ذلك يا ولدى العزيز . ستتصرف تماما كجنتلمان .

هوتشكس : (**مهزوما . يسألها الرحمة**) زنوبيا ..

مسز جورج : من فضلك ، بوللى .

هوتشكس : مسز كولنز ..

مسز جورج : نعم يا سيدى ؟

هوتشكس : شيء أقوى من عقلى وحواسى يغسل يدى ويمزقنى إربا . أنا لا أحاول أن أنكر أن هذا الشيء يستطيع أن يجرنى حيث تشائين ، وأن يجعلنى أفعل ما تريدين . ولكن دعينى على الأقل أعرف خبيئة نفسك كما تعرفين خبيئة نفسى . هل تحبين تاجر الفحم السخيف هذا ؟

مسز جورج : سمه جورج .

هوتشكس : هل تحبين جورجى يورجى ؟

مسز جورج : لست أعلم أننى أحبه . إنه زوجى كما تعرف . ولكن إذا أنا قلقت على صحة جورج ، قليتك بالبصل وقدمتك له فى طعام الإفطار دون أن أبالى ، إذا كان فى ذلك تغذية له . جورج وأنا صديقان حميمان . جورج رجلى . قد

يجيء رجال آخرون ويذهبون ، أما جورج فباق إلى الأبد .

هوتشكس : نعم . سرعان ما يغدو الزوج مجرد عادة . اسمعى . أظن أن هذه الفتنة الكريهة التى لك على هى الحب .

مسز جورج : أى شعور إزاء المرأة يسمى حبا فى هذه الأيام .

هوتشكس : هل تحبينني ؟

مسز جورج : (**بسرعة**) ليس حبى سلعة رخيصة كهذا يا عزيزى . أنا لا أجشم نفسى عناء عبور الطريق لألقى عليك نظرة أخرى ، ليس بعد . لست متعطشة إلى الحب عطش العصفور إليه فى برد الشتاء ، كما هو شأن السيدات اللواتى اعتدت مخالطتهن . لابد أن تكون بارعا جدا ، وطيبا جدا ، ومخلصا جدا ، لكى تثير اهتمامى . فإذا أعجب بك جورج ، وإذا أنت أدخلت السرور على نفسه ، تحملت مجيئك وذهابك من وقت الآخر لمدة .. فلنقل لمدة شهر . فإذا استطعت أن تكسب صداقتى فى هذه المدة كان بها ، إن استطعت أن تصل إلى قلبى المسكين المحتضر ، ولو حتى للحظة واحدة ، باركتك ، وما نسيتك أبدا . حاول ..... هذا إذا أعجب بك جورج .

هوتشكس : أستطيع إذن أن أزوركم فى منزلكم لمدة شهر إذا كان جورج يحبنى ؟

مسز جورج : بشرط أن تتخلى عن مسز رجنالد .

هوتشكس : ولكنها لن تتخلى عنى . هل تظنين أننى أريد الزواج منها ؟ لقد كنت أعزب لا بيت لى ، وكنت أشعر بالسعادة والغبطة فى بيتهما كصديق لهما . وكانت ليو شيطانة صغيرة مسلية . ولكننى أحببت رجنالد أكثر مما أحببتها . إلا أنها لم تدرك ذلك . فجاءت إلى يوما وأخبرتنى أن ما لا مفر منه قد وقع . وكنت من اللباقة بحيث لم أسألها عن هذا الذى لا مفر منه . وأدركت على الفور أنها قالت لرجنالد أن زواجهما كان غلطة ، وأنها أحبتنى و لم تعد تطيق أن ترانى وقلبى يتمزق من أجلها ويتألم فى صمت . ماذا كان فى استطاعتى أن أقول ؟ ماذا كان فى استطاعتى أن أفعل ؟ ماذا أستطيع أن أقول الآن ؟ ماذا أستطيع أن أفعل الآن ؟

مسز جورج : قل لها إن الوقوع فى غرام زوجات الآخرين أصبح عادة عندك ، وإننى آخر غرام لك .

هوتشكس : ماذا ! أتخلى عنها بعد أن تخلت هى عن رجنالد من أجلى .

مسز جورج : (**تقف**) لن تفعل إذن ؟ طيب . أنا آسفة لأننا لن نلتقى ثانية . كنت أحب أن أراك من أجل خاطر جورج . إلى اللقاء (**تبتعد عنه ناحية المدفأة**) .

هوتشكس : (**بتضرع**) زنوبيا ..

مسز جورج : ظننت أننى غزوت حصنا منيعا . أما الآن فأنا أرى أنك لست إلا واحدا من تلك المخلوقات البائسة التى تطارد أية

امرأة وتستطيع أية امرأة أن تلتقطك . هذا ليس لى . أشكرك (**تستدير ناحية البرج لتخرج فى عناد وصلابة**)

هوتشكس : (**يتبعها**) لا تكونى حمارة يا بوللى .

مسز جورج : (**تقف**) هذا أحسن .

هزتشكس : ألا تستطيعين أن تفهمى أننى لا أستطيع أن أتخلى عن ليو لمجرد أن ذلك يسرنى . هذا أمر غير شريف .

مسز جورج : هل ستكون سعيد إذا تزوجتها ؟

هوتشكس : أوه لا . أبداً .

مسز جورج : هل ستكون سعيدة عندما تعرفك على حقيقتك ؟

هوتشكس : إنها لا تستطيع أن تكون سعيدة ، ولكنها تستطيع أن تتمسك برجل ضد رغبته .

مسز جورج : تماماً أيها الشاب . إذن فستقول لها ، من فضلك ، إنك تحبنى ، أمام الجميع ، فى أول مرة تراها .

هوتشكس : ولكن ..

مسز جورج : هذه أوامرى يا سنجون . لا أستطيع أن أجعلك تتزوج امرأة أخرى إلا بعد أن يسأمك جورج .

هوتشكس : آه لو لم أكن أرغب رغبة أنانية فى إطاعتك !

(يدخل الجنرال من الحديقة . تخطو مسز جورج حتى تصبح فى منتصف المسافة من باب الحديقة لتتحدث إليه . هوتشكس يقف جامداً عند المدفأة) .

مسز جورج : أين كنت طول هذا الوقت ؟

الجنرال : كانت أعصابى مضطربة من المناقشة ، فذهبت إلى الحديقة لأدخن . أنا بخير الآن (**تتهادى ناحية باب المكتب وتجلس عند ذلك الطرف من المائدة الكبيرة**) .

مسز جورج : كنت تدخن ! ألم تقل إنها لا تطيق التدخين ؟

الجنرال : أى والله ! نسيت . فقد أصبح التدخين أمراً طبيعيا .

(**تدخل لزبيا من باب البرج**)

مسز جورج : لقد عاد إلى التدخين !

لزبيا : هذا ما يقوله لى أنفى (**تتجه إلى طرف المائدة القريب من المدفأة وتجلس**) .

الجنرال : لزبيا : أنا آسف جدا . ولكن لو أبطلت التدخين ، لأصبحت منقبض النفس سريع الغضب ، ولكنت أنت أول من يتوسل إلى لأعود إليه .

مسز جورج : هذا صحيح . فالنساء يدفعن أزواجهن إلى جميع أنواع الخبائث حتى يظلوا فى مرح وابتهاج . سنجون : انصرف . لا شأن لك بهذا .

لزبيا : لا تتعب نفسك يا سنجون . لقد ظل قلب بوكسر المحطم معلقا بكمه زمنا طويلا بحيث لم يعد ثمة مجال للتكتم .

الجنرال : أنت قاسية يا لزبيا ، قسوة شيطانية (**يجلس ، مهيضا**)

لزبيا : أنت سافل يا بوكسر .

هوتشكس : لماذا ؟ أنا أسأل بوصفى خبيرا فى السفالة .

لزبيا : لسببين : أولا ، لأنه يتكلم كما لو كان الشيء الوحيد الذى له أية أهمية فى الحياة هو من هى المرأة التى سيتزوجها . ثانيا ، لأنه لا سيطرة له على نفسه .

الجنرال : ليس النساء كلهن سواء بالنسبة إلىّ يا لزبيا .

مسز جورج : وكيف يكن سواء ؟ النساء جميعا مختلفات . الرجال هم الذين كلهم سواء . ثم ما الذى تعرفه مس جرانثام عن الرجال أو النساء ؟ إن لديها كثيرا من ضبط النفس .

لزبيا : (**تتسع عيناها وترفع ذقنها فى ترفع**) وكيف بالله يمنعنى ذلك من أن أعرف عن الرجال والنساء ما يعرفه من ليس لديهم شيء من ضبط النفس ؟

مسز جورج : لأن ضبط النفس يخيف الناس فيتأدبوا فى وجودك . فكيف تعرفين حقيقتهم إذن ؟ انظرى إلىّ . كنت طفلة مدللة . نشأ أخواتى وإخوتى نشأة طيبة ، شأن جميع أولاد أصحاب الحانات المحترمين . كذلك كان يجب أن أنشأ أنا لو لم أكن الصغرى ، كنت أصغر بعشرة أعوام من أصغر أخواتى . وكان والداى قد سئما عندئذ القيام بواجبهما فى تربية أولادهما . ولذا دللانى أشد التدليل . لم أعرف أبدا معنى الحاجة إلى مال ، أو إلى أى شيء يشترى بالمال . وعندما كنت أرغب فى الحصول على ما أريد ، كان كل ما أفعله هو أن أظل أصرخ إلى أن أحصل عليه . وإذا اغتظت لم أضبط نفسى . وإنما أنشبت مخالبى ورحت أسب وأشتم . هل حاولت أبدا ، بعد أن

كبرت ، شد شعر امرأة ؟ هل حاولت أبدا عض رجل ؟ هل حاولت أبدا أن تسبى رجلا أو امرأة بجميع ألفاظ السباب التى تأتى على لسانك ؟

لزبيا : (تقشعر اشمئزازا) لا .

مسز جورج : أما أنا فقد فعلت كل هذا . أنا أعرف شعور المرأة عندما يشد أحد شعرها . وأعرف شعور الرجل عندما تعضه امرأة . وأعرف شعور المرأة والرجل عندما تخبرينهما بحقيقة شعورك إزاءهما . ولهذا أعرف عن الدنيا أكثر مما تعرفين .

لزبيا : كذلك الصينيون يعرفون شعور الرجل عندما يقطع جسده ألف قطعة ، أو عندما يغلى فى الزيت . هذا النوع من المعرفة لا يفيدنى . أخشى أننا لن ننسجم معا أبدا يا مسز جورج . أنا أعيش كالمبارز ، دائما على حذر . وأحب أن أواجه أشخاصا يكونون دائما على حذر . فأنا أمقت الناس المائعين ، وذوى الثياب المهلهلة ، والذين لا يستطيعون أن يجلسوا مشدودى القامة ، وذوى العواطف الرقيقة .

مسز جورج : ولكنك لا تتعلمين كيف تشقين طريقك فى الحياة باتخاذ موقف الحذر ، بل تتعلمين ذلك بالهجوم ، وبنيل نصيبك من الضرب .

لزبيا : أنا لا أقاتل للحصول على جائزة يا مسز كولنز . إذا لم أستطع الحصول على شىء دون مهانة القتال فى سبيله ،

استغنيت عنه .

مسز جورج : حقا ؟ ألا يخطر ببالك أننا لو كنا جميعا فى مثل مهارتك فى الاستغناء عن الأشياء . لما كان هناك شىء نعيش من أجله ؟

الجنرال : ولكن الأشياء التى تستغنين عنها يا لزبيا هى الأشياء التى لا تحتاجين إليها .

لزبيا : (مندهشة لحضور بديهته) لا بأس بهذا من جندى غبى . نعم يا بوكسر : الحق هو أن رغبتى فيك ليست من القوة بحيث أقدم على التضحيات غير المعقولة التى يتطلبها الزواج . ومع ذلك فهذا هو بالضبط السبب الذى يجب من أجله أن أتزوج . وسأدفن فى قبرى دون أن أنجب ، لا لشىء إلا لأننى أتحلى بالصفات التى يحتاج وطنى إليها أكثر من غيرها . أما النساء اللواتى ليست لديهن القوة لمقاومة الزواج ، ولا المقدرة على إدراك ما ينطوى عليه من عار لا حد له ، هؤلاء النساء هن اللواتى سيبنين وطن المستقبل (**تنهض ، وتسير ناحية المكتب**).

الجنرال : (**وهى على وشك أن تتجاوزه**) لن أسألك أن تتزوجينى ثانية يا لزبيا .

لزبيا : أشكرك يا بوكسر (**تستمر فى سيرها نحو باب المكتب**) .

مسز جورج : لقد نفضت يديك منه تماما ، هه ؟

لزبيا : فيما يتعلق بالزواج ، نعم . خلا لك الجو الآن يا مسز جورج (**تذهب إلى المكتب**)

(**يدفن الجنرال وجهه فى يديه . تدور مسز جورج حول المائدة آتية إليه**)

مسز جورج : (**بعطف**) هى امرأة لطيفة . وذات جمال من نوع خاص ، يختلف عن جمال أية امرأة أخرى .

الجنرال : (**مغلوبا على أمره**) أوه مسز كولنز ، أشكرك ، أشكرك ألف مرة (**ينهض وقد فاضت به عاطفته**) لقد أذبت جليد الينابيع التى طال تجمدها (**يقبل يدها**) سامحيني . وأشكرك . بارك الله فيك (**يهرب مرة أخرى إلى الحديقة ، يخنقه الانفعال**) .

مسز جورج : (**تنظر وراءه فى زهو وانتصار**) ضبطت المحارب العجوز وهو يترنح . هه ؟

هوتشكس : لقد نكثت عهدك معى !

مسز جورج : أنا لست متاعا لك أيها الشباب . لا يخطرن لك هذا ببال (**تتجه إليه وتواجهه**) أنت تدرك ذلك ؟ (**يمسك بها فجأة ويضمها بين ذراعيه ويقبلها**) أوه ! إياك أن تجرؤ على ذلك مرة أخرى يا سفيه ! وأنا ألقى بأحد هذه الكراسى فى وجهك (**تمسك بأحد الكراسى على أهبة الاستعداد**) لن ترانى بعد هذا لمدة شهر آخر .

هوتشكس : (**بترو**) ستكون زيارتى الأولى لزوجك بعد ظهر اليوم .

مسز جورج : ستعلم ماذا سيقول لك عندما أنبئه بما فعلت الآن .

هوتشكس : وماذا يستطيع أن يقول ؟ ماذا يجرؤ أن يقول ؟

مسز جورج : لنفرض أنه طردك من البيت ؟

هوتشكس : وكيف يستطيع ذلك ؟ لقد اشتركت فى سبع مبارزات بالسيف . وعضلاتى من حديد . لا شيء يؤذينى . ولا حتى العظام المكسورة . لا يهمنى القتال بتاتا ، لأنه لا يخيفنى ولا يسلينى . وأنا الفائز فيه دائما . ولعل زوجك فى مثل هذه الأمور ، رجل عادى . وسيرتعد منى فرقا . وإذا أقدم على مهاجمتى مدفوعا بحافز وجودك ، ومن أجل خاطرك . ولأن ذلك هو ما يراه السفلة صوابا ، فإننى سأهزمه بكل بساطة وأجعل منه أضحوكة (**يضع يديه على الكرسى شيئا فشيئا ثم يأخذه منها ، بينما تستقر كلماته فى أعماقها كلمة كلمة**) ولكنك ستفضلين على تعريضه لكل هذا ، أن تتحملى ألف قبلة مختلسة ، أليس كذلك ؟

مسز جورج : (**فى فزع شديد**) أيها الثعبان الصغير !

هوتشكس : ها ها ها ! أنت فى قبضة يدى . فاتتك نقطة لم ترد فى قانون الشرف الذى وضعته للأزواج ، وهى أن الرجل الذى يستطيع أن يستبد بهم ، يستطيع أن يهين زوجاتهم دون أن يمسه سوء . أنبئيه إن جرؤت . إذا أردت أن أقبلك عشر قبل فكيف تمنعيننى ؟

مسز جورج : تعال إلى متناول يدى ، وأنا لن أترك على رأسك شعرة

واحدة .

هوتشكس : (**يمسك رسغيها ببراعة**) لقد قيدت يديك .

مسز جورج : ولكنك لم تقيد أسنانى . دعنى ، وإلا عضضتك .. سأعضك . دعنى .

هوتشكس : عضى . سيكون مذاقى حلوا كمذاق جورج .

مسز جورج : يا وحش . دعنى . هل تسمى نفسك جنتلمان . وأنت تستخدم قوتك الوحشية ضد امرأة ؟

هوتشكس : أنت أقوى منى فى كل شىء إلا هذا . فهل تظنين أننى سأتخلى عن ميزتى الوحيدة ؟ عدينى أن تكونى فى استقبالى عندما أزوركم بعد ظهر اليوم ؟

مسز جورج : بعد كل ما فعلت ؟ لن أعد ، حتى ولو كان فى ذلك إنقاذ حياتى .

هوتشكس : سأسلى جورج .

مسز جورج : لن يكون فى البيت .

هو تشكس : (**مأخوذا**) هل تعنين أننا سنكون وحدنا ؟

مسز جورج : (**تنتزع يديها منتصرة عليه إذ يخفف قبضته**) آها ! لقد أذهلك هذا النبأ .

هوتشكس(**بلهفة**) متى يكون جورج فى البيت ؟

مسز جورج : لن يهمك إذا كان فى البيت أم لا ، فسيغلق الباب فى وجهك فى أى وقت تأتى فيه لزيارة .

هوتشكس : لا يوجد فى لندن خادم من القوة بحيث يستطيع أن يغلق بابا أريده أنا أن يظل مفتوحا . لا تستطيعين أن تهربى

منى . وإذا أصررت على موقفك ، مارست تجارة الفحم ، وبذلك أتعرف بجورج فى بورصة الفحم . وأظل ألاطفه وأتملقه حتى يأخذنى معه إلى بيته ليعرفنى بك .

مسز جورج : لا فائدة لك عندنا أيها الشاب : لا جورج ولا أنا (**تبتعد عنه وتجلس عند طرف المائدة القريب من باب المكتب**)

هوتشكس : (**يتبعها ويجلس على الكرسى المجاور عند ركن المائدة**) بل لى فائدة عندكما . جورج لا يستطيع أن يقاتل من أجلك ، أنا أستطيع .

مسز جورج : (**مستديرة لتواجهه**) أنت مستبد . أنت مستبد وضيع .

هوتشكس : أنت لديك شجاعة وفتنة ، وأنا لدى شجاعة وقبضتان . كلانا مستبد يا بوللى .

مسز جورج : لك لسان شرير . وهذا يكفى ليبعدك عن بيتى .

هوتشكس : إذن فهو بيت على وشك الانهيار . كلمة منى إلى جورج — الكلمة المناسبة تقال بالطريقة المناسبة — وإذا ببيتك يهوى .

مسز جورج : ولهذا سأموت قبل أن أدخلك إليه .

هوتشكس : كونى إذن على يقين ، يقينك بأنك حية ترزقين ، من أننى سأمارس تجارة الفحم غدا . إن ذوق جورج فى اختيار الصحاب الذين يسلونه سيسلمه إلى . وقبل

انقضاء شهر سيكون بيتك تحت رحمتى .

مسز جورج : (**تنهض ، وهى فى مأزق**) هل تظن أننى أترك نفسى لأنساق إلى فخ كهذا ؟

هوتشكس : أنت فى الفخ فعلا . الزواج فخ . وأنت متزوجة . أى رجل لديه القوة على افساد زواجك ، تكون لديه القوة لإفساد حياتك . ولدى هذه القوة عليك .

مسز جورج : (**يائسة**) هل تعنى ذلك ؟

هوتشكس : أعنى ذلك .

مسز جورج : (**فى تصميم**) أفسد زواجى إذن وعليك ..

هوتشكس : (**يقفز من مكانه**) يوللى !

مسز جورج : أواجه التعاسة خير من أن أكون أمة لك .

هوتشكس : حتى فى سبيل جورج ؟

مسز جورج : لابد أن تكون بينى وبين جورج رابطة شرف ، سواء أكنت سعيدة ، أم لا . افعل أسوأ ما تستطيع .

هوتشكس : (**معجبا بها**) هل تجرؤين على أن تتحدينى يا بوللى ؟

مسز جورج : إذا سألتنى سؤالا آخر ، فلن أستطيع أن أبعد يدى عنك ؟ (**تندفع شاردة اللب أمامه نحو الطرف الآخر للمائدة ، وأصابعها تلتوى وتنبسط**) .

هوتشكس : هذا ينهى الموضوع . بوللى : أنا أعبدك ، لقد خلق كلانا للآخر . وما دمت أنا جنتلمان ، فلن آتى أمرا يغضبك أو يؤذيك ، إلا أننى احتفظ بحقى فى أن أضربك إذا عضضتنى . ولكنك لن تتخلصى منى أبدا بعد الآن .

إلى آخر يوم فى حياتك .

مسز جورج : سأتخلص منك حتى ولو اضطر حامل الصولجان إلى القضاء عليك بصولجانه (**تتجه نحو باب البرج**) .

هوتشكس : (**يجرى بين المائدة والصندوق متجها إلى باب البرج ليقطع عليها الطريق**) لن تستطيعى هذا .

مسز جورج : (**تلهث**) لن أستطيع ؟

هوتشكس : لا . لن تستطيعى . ما زالت معى ورقة أخيرة لم ألعبها بعد ، وأنت نسيتها . لماذا لم تكونى فى حالتك الطبيعية عندما كنت تتحدثين إلى الأسقف ؟

مسز جورج : (**وقد استثارها هذا إلى أبعد حد**) كف عن هذا . لا تتحدث عن ذلك . ستحترم هذا إن كنت لا تحترم شيئا آخر . أنا أمنعك (**يركع عند قدميها**) ماذا تفعل ؟ انهض : لا تكن أحمق .

هوتشكس : بوللى : أسالك — وأنا راكع — أن تعرفينى بجورج فى بيته بعد ظهر اليوم ، وسأظل راكعا إلى أن يأتى الأسقف فيرانا . ماذا سيكون ظنه فيك عندئذ ؟

مسز جورج : (**تنظر جانبا**) أين السيخ الحديدى الذى نقلب به فحم المدفأة ؟

(تندفع نحو المدفأة ، وتأخذ السيخ ، وتندفع نحو هوتشكس الذى يفر إلى باب المكتبة . الأسقف يدخل فى هذه اللحظة ويرى نفسه بينهما ، وقد كاد السيخ يهوى على رأسه) .

الأسقف : لا تضربيه يا مسز كولنز . إنه ضيفى .

(تلقى مسز جورج بالسيخ ، وتنهار فى أقرب كرسى ، وتنفجر بالبكاء . يتجه الأسقف إليها ويـربت على كتفها مواسيا . يهتز جسمها كله ارتعاشا من لمسته) .

الأسقف : أنت فى بيت أصدقائك . هل نستطيع أن نساعدك ؟

مسز جورج : **(تخاطب هوتشكس ، مشيرة إلى المكتب)** ادخل هناك ، أنت . لا نريدك هنا .

هوتشكس : أنت تدرك أيها الأسقف أن مسز كولنز لا لوم عليها بسبب هذا المنظر . لقد أثرت غضبها .

الأسقف : أصدق هذا يا سنجون ؟

(يدخل هوتشكس إلى المكتبة)

الأسقف : **(يلتفت إلى مسز جورج فى حنان بالغ)** أنا آسف لما حدث لك من مضايقة **(يجلس إلى يسارها)** لا تبالى به . قليلا من الجرأة،قليلا من مرح القلب ، قليلا من الصلاة ، تسخرى منه وتهزئى به .

مسز جورج : لا تخش شيئا . لدى هذا كله . كانت غلطتى بقدر ما كانت غلطته . لقد كنت على وشك أن أضعه فى مكانه بضربة من هذا السيخ على جانب رأسه لـولا أنك دخلت .

الأسقف : ربما كنت وضعته فى كفنه بهذه الطريقة يا مسز كولنز . وعندئذ كنت أشعر بأشد الأسف . لأننا جميعا نحب سنجون .

مسز جورج : نعم ، من واجبك أن تؤنبنى . ولكن هل تظن أننى لا أعرف ؟

الأسقف : أنا لا أؤنبك . من أنا حتى أؤنبك ؟ ثم إننى أعرف أن هناك مناقشات يكون فيها هذا السيخ هو السبيل الممكن الوحيد للجدال .

مسز جورج : يا سيدى : كن جادا معى . أنا امرأة غريبة الأطوار . ولكننى خرجت من نفس المصنع الذى خرجت أنت منه . لقد سمعتك تقول ذلك قبل سنوات .

الأسقف : هذا صحيح . وإذن فأنا أسقف غريب الأطوار . ومادمنا نحن الاثنين غريبى الأطوار ، فلنذكر أن الدعابة فضيلة قدسية .

مسز جورج : أنا لا أعرف شيئا عن الفضائل القدسية ، ولك أن تسميها ما شئت . ولكننى أعرف متى أشعر بالحظ من قدرى . منك أنت تعلمت لأول مرة أن أحترم نفسى . عن طريقك استطعت أن أسير فى أمن فى طرق موحشة شائقة . فلا تنكص عن تعاليمك .

الأسقف : لست معلما . ما أنا إلا رفيق سفر سألته أنت أن يهديك السبيل . ولقد أشرت إلى الأمام ، أمامى وأمامك على السواء .

مسز جورج : (**تنهض واقفة أمامه فى شبه تهديد**) أنا اليوم امرأة حية ، ولكن لو تبين لى أنك مخادع ، فلأ قتلن نفسى .

الأسقف : ماذا ! تقتلين نفسك لأنك تبينت شيئا ! لأنك غدوت

أعقل وأحكم ، ومن ثم أصبحت امرأة أفضل ! يا له من سبب سيىء !

مسز جورج : لقد فكرت حينا فى قتلك ثم قتل نفسى .

الأسقف : ولماذا بالله تقتلين نفسك . دعك منى ؟

مسز جورج : حتى نفى بموعدنا للقاء فى السماء .

الأسقف : (**ينهض ويواجهها ، لاهث الأنفاس**) مسز كولنز ! أنت المرأة المجهولة !

مسز جورج : لقد قرأت رسائلى إذن ؟ (**تجلس وهى ترسل تنهدة شكر وتقول**) أشكرك .

الأسقف : (**يشعر بتأنيب الضمير**) وأنا كشفت عن السر هنا (**يجلس ثانية**) هل لك أن تسامحينى ؟

مسز جورج : ما كنت لتعرف أنها لم تكن سوى زوجة تاجر الفحم .

الأسقف : لماذا تقولين لم تكن سوى زوجة تاجر الفحم ؟

مسز جورج : سيضحك كثير من الناس على هذا .

الأسقف : مساكين ! من الصعب معرفة الوقت المناسب للضحك ، أليس كذلك ؟

مسز جورج : لم أقصد أن أجعلك تظن أن الرسائل كانت من سيدة رفيعة . كنت أكتبها على ورق رخيص . و لم أكن أعرف الهجاء أبداً .

الأسقف : ولا أنا . وهكذا لم يدلنى ذلك على شىء .

مسز جورج : هناك أمر واحد أحب أن تعرفه .

الأسقف : نعم ؟

مسز جورج : لم نغش صديقك . كان الفحم الذى اشتراه ، هو أحسن ما يمكن أن نقدمه له بسعر ١٣ شلناً للطن .

الأسقف : هذا مهم . أشكرك لأنك قلت لى هذا .

مسز جورج : لدى شيء آخر أريد أن أقوله لك . ولكن أرجوك أن تطلب من أحد أن يدخل ويبقى هنا ونحن نتحدث (**يقف ويتجه نحو باب المكتب**) أرجو ألا تكون امرأة (**يومىء برأسه علامة الفهم ويمضى**) ولا رجلا .

الأسقف : (**يقف**) لا رجلا ولا امرأة . لم يبق لدينا أطفال يا مسز كولنز . كلهم كبروا وتزوجوا .

مسز جورج : هذا القسيس الآخر .

الأسقف : من ؟ خادم الكنيسة ؟

مسز جورج : نعم . أرجو ألا يكون قد استاء عندما قلت لك هذا ؟ كان ذلك عن جهل منى .

الأسقف : أبدا . أبدا (**يفتح باب المكتب وينادى**) سومز . آنتونى (**مخاطبا مسز جورج**) قولى له يا أبى فهو يحب ذلك (**يظهر سومز عند باب المكتب**) مسز كولنز ترغب فى أن تنضم إلينا .

(**يبدو سومز فى حيرة**)

مسز جورج : لا ما نع لديك يادادى ، أليس كذلك ؟ (**تصيبه هذه التحية بصدمة مما يتنافى ونصيحة الأسقف لها فتقول فى قلق**) هكذا طلبت منى أن أناديه ، أليس كذلك ؟

سومز : إنهم ينادوننى بالأب آنتونى يا مسز كولنز . ولكن

لا أهمية لما تنادينني به (**يدخل ويسير متجاوزا إياها نحو المدفأة**) .

الأسقف : تريد مسز كولنز أن تقول لى شيئا ، وتريد منك أن تسمعه .

سومز : أنا مصغ .

الأسقف : (**يعود إلى كرسيه بجوارها**) والآن ؟

مسز جورج : سيدى : ما كان ينبغى لك أن تتزوج أبدا .

سومز : هذه المرأة ملهمة . أصغ إليها يا سيدى .

الأسقف : (**وقد أذهله هذا الهجوم المباشر**) لقد تزوجت لأننى كنت أحب آليس أشد الحب حتى إن ما فى الزواج من مصاعب وشكوك وأخطار بدت لى كلها كضوء القمر .

مسز جورج : نعم . من الدناءة الزج بالشبان الصغار فى متاعب كهذه وهم فى هذه الحال . هل تتزوج الآن وقد ازددت معرفة ، لو كنت أرمل ؟

الأسقف : أنا الآن عجوز . هذا لا يهم .

مسز جورج : ولكن هل تتزوج لو كان هذا يهم ؟

الأسقف : أظن أننى أتزوج من جديد لكيلا يتصور أحد أننى لم أجد سعادة فى الزواج من آليس .

سومز : (**بشدة**) هل أنت أكثر حبا لزوجتك منك لخلاصك ؟

الأسقف : أوه ، أكثر كثيرا . عندما تلقى رجلا يحرص على خلاصه ، فابحث عن امرأة تحرص على أخلاقها ،

وزوجهما ، يكن منهما زوجان كاملان . أنا أنصحك بأن تحب يا آنتونى .

سومز : (**فى رعب**) أنا !!!

الأسقف : نعم أنت ! فكر فيما سيفعله الحب فيك . من أجلها ستهتم بالمال فى إيثار ومثابرة بدلا من عدم اكتراثك به فى أثرة وكسل . من أجلها ستهتم . بالطريقة نفسها ، بتفضيل أشياء على أخرى . من أجلها ستهتم بصحتك ، ومظهرك ، وحسن رأى الناس فيك ، وبكل الأمور ذات الأهمية الحقة التى تجعل الرجال يعملون ويكافحون . بدلا من الذهول والحلم بخلاصهم .

سومز : باختصار . من أجل خطيئة واحدة مميتة . سأهتم بجميع الخطايا الأخر .

الأسقف : القديس آنتونى ! أغويه يا مسز كولنز . أغويه .

مسز جورج : (**تقف وتنظر أمامها نظرات غريبة**) حاذر يا سيدى ، ما زالت لديك القوة لتجعلنى أذعن وأطيع أوامرك . وأنت أيها القسيس ، احذر قلبا خليا .

الأسقف : نعم . إن الطبيعة تمقت الفراغ يا آنتونى . أنا لا أجرؤ على أن أعيش بقلب فارغ ، لأن أول فتاة ألقاها ستطير إلى هذا القلب بفعل الضغط الجوى . ولكن آليس تبعد عنى الفتيات الآن . مستر كولنز يعرف هذا .

مسز جورج : (**تغمرها الرجفة كالموجة**) أنا أعرف أكثر من كليكما . أحدكما لم يستنفد بعد حبه الأول ، والآخر لم

يصل إليه بعد . أما أنا .. أنا .. (**تصاب بدوار وترتجف مرة أخرى**)

الأسقف : (**ينقذها من السقوط**) ماذا بك ؟ هل أنت مريضة يا مسز كولنز ؟ (**يعيدها إلى كرسيها**) سومز : توجد كوب ماء فى المكتب .. بسرعة (**يسرع سومز إلى باب المكتب**) .

مسز جورج : لا (**سومز يقف**) لا تناد . لا تأت بأحد . ألا تستطيع أن تسمع شيئا ؟

الأسقف : لا شىء غير عادى (**يجلس بالقرب منها ، يراقبها فى دهشة بالغة واهتمام**) .

مسز جورج : ألا تسمع موسيقا ؟

سومز : لا (**يتسلل إلى طرف المائدة ويجلس إلى يمينها فى اهتمام**) .

مسز جورج : ألا ترى شيئا .. ضوءا عظيما ؟

الأسقف : ما زلنا نمشى فى الظلام .

مسز جورج : ضع يدك على جبهتى ، اليد التى فيها الخاتم (**يستجيب . تغلق عينيها**)

سومز : (**يوحى إليه الموقف بنبوءة**) يحكى أن امرأة ما ، زوجة تاجر فحم ، كانت مذنبة كبيرة ..

(يذهل الأسقف فيسحب يده . تفتح مسز جورج عينيها فى حيوية بينما تقاطع سومز)

مسز جورج : أنت تتنبأ خطئاً يا آنتونى . لم أقدم فى حياتى أبدا على فعل

شيء لم يكن مقدورا لى (**فى لهجة أهدأ**) كنت أتصرف كما تريد نفسى . لم أكن أخشى نفسى . وأخيرا هربت من نفسى . وغدوت صوت هؤلاء الذين يخشون أن يتكلموا . وصيحة القلوب التى تتحطم فى صمت .

سومز : (**هامسا**) هل يوحى إليها ؟

الأسقف : رائعة . هس .

مسز جورج : اكتسبت حق الكلام . جرؤت . نجوت . لم أهو ذابلة فى النار . وفى النهاية خرجت ناجحة موفقة .

الأسقف : وماذا ترين هناك ؟

سومز : (**فى لهفة**) أعطينا رسالتك .

مسز جورج : (**فى لوم حزين للغاية**) عندما أحببتمونى ، أعطيتكم الشمس والنجوم بأسرها لتلهوا بها . أعطيتكم الخلود فى لحظة واحدة ، قوة الجبال فى قبضة واحدة من أذرعكم . ومثقال البحار كلها فى نبضة واحدة من أرواحكم . لحظة واحدة فحسب . ولكن ألم تكن كافية ؟ ألم تنالوا عندئذ ثمن كل ما بقى من صراعكم على الأرض ؟ ألا بد لى من رتق ملابسكم وكنس أرضكم كذلك ؟ ألم يكن فى ذلك الكفاية ؟ لقد دفعت الثمن بدون مساومة . حملت الأطفال بدون تردد . فهل كان ذلك مدعاة إلى إلقاء مزيد من الأعباء على كاهلى ؟ حملت الطفل فى ذراعى . ألا بد لى من حمل الوالد كذلك ؟ عندما فتحت أبواب النعيم ، هل كنتم عميا ؟ ألم يكن

ذلك شيئا تأبهون به ؟ عندما ترنمت كل النجوم فى آذانكم . وقذفت بكم كل الرياح إلى قلب السماء ، هل كنتم صما ؟ هل كنتم بكما ؟ ألم أكن أنا لكم سوى عظمة الكلب ؟ ألم يكن فى ذلك الكفاية ؟ ذقنا الخلد سويا ، ومع ذلك تطالبوننى بمزيد من الحياة . ملكنا الكون كله معا . وأنتم تطالبوننى بأن أعطيكم أجرى الهزيل كذلك . أعطيتكم أعظم الأشياء طرا ، وأنتم تطالبوننى بأن أعطيكم أتفه الأشياء . أعطيتكم أرواحكم ذاتها . وأنتم تطالبوننى بجسدى ليكون ألعوبة . ألم يكن فى ذلك الكفاية ؟ ألم يكن فى ذلك الكفاية ؟

سومز : هل تفهم هذا يا سيدى الأسقف ؟

الأسقف : لى هذه الميزة دونك يا آنتونى . والفضل لآليس . (**يأخذ يد مسز جورج**) يدك باردة جدا . هل تستطيعين أن تنزلى إلى الأرض ؟ هل تذكرين من أنا ومن أنت ؟

مسز جورج : كان فى ذلك الكفاية لي . لم أطلب أن أراك .. أن ألمسك .. (**يترك الأسقف يدها بسرعة**) عندما خاطبت روحى منذ سنوات من فوق المنبر ، فتحت لى أبواب خلاصى . والآن تظل هذه الأبواب مفتوحة إلى الأبد . كان فى ذلك الكفاية . لم أطلب منك أى شىء آخر منذئذ . وأنا لا أطلب منك شيئا الآن . لقد

عشت . هذا يكفى . نلت أجرى . وأنا مستعدة لعملى . أنا أشكرك وأباركك وأتركك . وأنت بذلك أسعد حالا منى . لأننى إذ أفعل للرجال ما فعلته أنت لى ، لا أنال جزاء ولا شكورا ولا بركة . أنا فريستهم ، فلا راحة من حبهم ولا رحمة من مقتهم .

الأسقف : يجب أن تقبلينا على علاتنا يا مسز كولنز .

سومز : لا . اقبلينا كما فى استطاعتنا أن نصير .

مسز جورج : اقبلونى كما أنا . لا أطلب أكثر من هذا

(تدير رأسها ناحية باب المكتب وتصيح)

نعم . ادخل . ادخل .

(يدخل هوتشكس فى خفة من باب المكتب)

هوتشكس : هل تتكرمان فتخبرانى هل أنا فى حلم ؟ هناك سمعت مسز كولنز تقول أغرب الأشياء دون أن أسمع كلمة واحدة منكما ؟

سومز : سيدى الأسقف : هل هذه وسوسة الشيطان ؟

الأسقف : أم طهارة قديس ؟

هوتشكس : أم تنبؤات عرافة ؟

الأسقف : ألا يمكن أن يكون الثلاثة معا ؟

مسز جورج : **(فى ضيق)** أنتم تؤلموننى وتتعبوننى بأسئلة تافهة . أنتم تعيدوننى إلى نفسى . أنتم تعذبوننى بأحلامكم الشريرة عن القديسين والشياطين و .. ماذا قلتم ؟ .. **(تحاول العثور على الكلمة)** العرافة .. العرافة **(فى يأس)**

لا أفهم . أنا امرأة . مخلوقة بشرية مثلكم . ألا تقبلوننى كما أنا ؟

سومز : نعم . ولكن هل نأخذك ونحرقك ؟

الأسقف : أم نأخذك ونعلنك قديسة ؟

هوتشكس : (**مرحا**) أم نأخذك قضية مسلمة ؟ (**مخاطبا الأسقف بسرعة**) لابد أن نخرجها من هذه الحالة ، هذه مسألة خطرة (**يخاطبها بصوت عال**) هل لى أن أقترح أن تكونى شيطانة آنتونى ، وقديسة الأسقف ، ومعبودتى بوللى ؟

(يتسلل واقفا خلفها ، ويأخذ يدها من حجرها ويقبلها من فوق كتفها) .

مسز جورج : (**تصحو**) ما هذا ؟ من الذى قبل يدى ؟ (**تخاطب الأسقف بشغف**) أهو أنت ؟ (**يهز رأسه نفيا . فتقول فى كدر**) أرجو عفوك .

الأسقف : أبدا . هذا شرف لا أتبرأ منه . اسمحى لى (**يقبل يدها**) .

مسز جورج : أشكرك على هذا . لم يكن خادم الكنيسة ، أم كان هو ؟

سومز : أنا ؟

هوتشكس : بل أنا يا بوللى ، المخلص لك إلى الأبد .

مسز جورج : (**تلتفت فتراه**) آه لو ضبطتك تفعل ذلك مرة أخرى ! كيف جئت إلى هنا ؟ لقد طردتك

(فى نشاط جم ، وقد عادت إلى صوابها مرة أخرى)

بالله عليكم ما الذى كان يجرى هنا ؟

هوتشكس : كل ما أستطيع أن أستنتجه هو أنك كنت فى غيبوبة لطيفة فصيحة .

مسز جورج : (**مغتبطة**) ماذا ؟ بصيرتى الثانية ! (**تخاطب الأسقف**) لطالما دعوت أن تعترينى هذه الغيبوبة إذا قابلتك ! والآن تحقق الدعاء . هذا أمر مذهل . تستطيع أن تصدق كل كلمة قلتها ، لا أذكر الآن شيئا مما قلت ، ولكنه كان شيئا يريد أن ينفجر كلاما يقال . وهكذا تملكنى هذا الشىء وعبر عن نفسه . هذا كل ما فى الأمر .

(تدخل إيدث وسسيل سايكس من باب البرج . ترتدى قبعتها . يبدو واضحا أنهما كانا معا . سايكس فى حالة غير طبيعية ، فى شىء من الحماقة والاستهتار كما لو كان قد فقد كل احترامة لنفسه ، وصمم على ألا يكون لا حترامه لنفسه أى أثر عليه ، يرتمى على كرسى عند طرف المائدة بالقرب من المدفأة ويضع يديه فى جيبه دون أن ينتظر حتى تجلس إيدث . تجلس هى على الكرسى ذى القضبان . تجلس ليو على الكرسى القريب من باب البرج عند جانب المائدة الطويل ، متجهمة وشفتاها مغلقتان)

الأسقف : هل كنت فى الخارج يا عزيزتى ؟

إيدث : نعم .

الأسقف : مع سسيل ؟

إيدث : نعم .

الأسقف : هل تفاهمتما ؟

(لا جواب . صمت)

سايكس : الأفضل أن تخبريهم يا إيدث .

إيدث : أخبرهم أنت .

(يدخل الجنرال آتيا من الحديقة)

الجنرال : **(يتقدم نحو المائدة)** هل يتكرم أحد بإعطائى بعض التبغ ؟ لقد استهلكت ما كان معى . وما زالت أعصابى أبعد ما تكون عن الهدوء .

الأسقف : انتظر لحظة يا بوكسر . سسيل سيقول لنا شيئا هاما .

سايكس : لقد انتهينا . هذا كل ما فى الأمر .

هوتشكس : انتهيتما من ماذا يا سسيل ؟

سايكس : ماذا تظن ؟

إيدث : لقد تزوجنا بالطبع .

الجنرال : تزوجتما ! ومن الذى سلمك إليه ؟

سايكس : **(يومىء برأسه ناحية باب البرج)** هذا السيد **(يرى أنهما لم يفهما ، فيستدير ببصره ولا يرى أحدا هنا)** أوه . كنت أظن أنه جاء معنا . يبدو أنه نزل تحت . حامل الصولجان .

الجنرال : حامل الصحولجان . بحق الشيطان لماذا يفعل هو ذلك ؟

سايكس : أوه ، لا أدرى . أنا لم أساومه **(يخاطب مسز جورج)**

ترى كم أعطيه يا مسز كولنز ؟

مسز جورج : خمسة شلنات (**تخاطب الأسقف**) أريد أن أستريح لحظة ، هناك ، فى مكتبك . لقد رأيت هذا هنا (**تمس جبهتها**) .

الأسقف : (**يفتح لها باب المكتب**) بالطبع . اطردى أختى إن أزعجك . سومز ، إيت بالخطابات هنا .

سايكس : ألن يغضب إذا أعطيته خمسة شلنات ؟

مسز جورج : لا . ليس هو . إنه يلمس الأطفال بصولجانه ليشفيهم من الالتهابات الجلدية فى مقابل أربعة بنسات عن كل طفل (**تدخل إلى المكتب ، يتبعها سومز**) .

الجنرال : لقد خيبت أملى يا إيدث . ومع ذلك فأنا مسرور لأن الذى قام بتسليمك رجل يرتدى بدلة رسمية .

(تدخل مسز بردجنورث ولزيا من باب البرج . تتجه مسز بردجنورث نحو الأسقف .. يذهب إليها فيقابلان بالقرب من « البوريه » . تقف لزيا بين سايكس وإيدث) .

الأسقف : آليس يا حبيبتى ، لقد تزوجا .

مسز بردجنورث : (**فى رصانة**) أوه ، لا بأس . فلتخبر كولنز إذن .

(يعود سومز من المكتب ومعه أدوات الكتابة . يجلس عند أقرب طرف للمائدة ويمضى فى عمله . يجلس هوتشكس على الكرسى المجاور عند ركن المائدة مديرا له ظهره) .

لزبيا : هل سلم كل منكما للآخر ؟

إيدث : أبدا . لقد احتطنا لكل شيء .

سومز : كيف ؟

إيدث : قبل ذهابنا إلى الكنيسة ، ذهبنا إلى شركة تأمين .. ما اسمها يا سسيل ؟

سايكس : شركة تأمين العائلة البريطانية . وهى تقوم بالتأمين ضد العلاقات السيئة وغير ذلك من الطوارئ .

إيدث : وافقت الشركة على تأمين سسيل ضد إجراءات القذف التى تتخذ ضده بسببى . وستقدم لنا شروطا سهلة بصفة خاصة لأننى ابنة أسقف .

سايكس : وقد أقسمت لإيدث أننى إذا ارتكبت جريمة فسأضربها وأطرحها أرضا أمام أحد الشهود ثم أسافر إلى « برايتون » مع سيدة أخرى[1] .

لزبيا : هذا هو ما تسميه الاحتياط لكل شيء ! (**تذهب إلى منتصف المائدة . ناحية الحديقة وتجلس**) ؟

ليو : دعيه يتأكد أولا أنه لا توجد ديدان قبل أن يطرحك أرضا يا إيدث . أين رجى ؟

رجنالد : (داخلا من المكتب) هنا . ماذا حدث ؟

ليو : (**تقفز منتفضة وتتجه نحوه**) ماذا حدث ؟ يا له من

---

(١) القصد من ذلك أن يكون هذا سببا للحصول على الطلاق (المترجم) .

سؤال ! بينما كانت إدى وسسيل فى شركة التـأمين ركبت تاكسى وذهبت إلى غرفتك ، فإذا بها فى آخر حالات الفوضى . ملابسك فى حالة مزرية ، وضمادة كبدك استحالت إلى بطانة لإبريق الشاى . أنت لم تعد تصلح لأن تترك وحدك ، كطفل فى السنة الأولى من عمره .

رجنالد : لا أستطيع أن أجشم نفسى عناء الالتفات إلى مثل هذه الأمور . أنا بخير .

ليو : لست بخير . أنت رجل مشين . أنت لا تفكر أبدا فى أنك تجلب لى العار . لا تفكر إلا فى نفسك . لابد أن تأتى معى إلى البيت حتى أعتنى بك العناية الواجبة . لن يسمح لى ضميرى أن أدعك تعيش عيشة الخنازيـر (**تسوى له رباط الرقبة**) يجب أن تبقى معى إلى أن أتزوج سنجون ، وعندئذ نستطيع أن نتبناك أو نفعل شيئا من هذا القبيل .

رجنالد : (**يتخلص منها ويندفع نحو المدفأة مارا بهوتشكس**) كلا . سأنتحر قبل أن يتبنانى سنجون . تبنيه هو إن شئت .

هوتشكس : (**يقف**) أنا أرى أن هذه هى أحسن فكرة يا ليو ، سأعترف لك بشىء . لست أنا بالرجل الذى تظنين . أنت تعترضين على رجى لأن ذوقه منحط .

رجنالد : (**يلتفت نحوه**) هكذا ؟

ليو : بل قلت إن له عادات بذيئة . لم يخطر ببالى أبدا أن ذوقه منحط إلا بعد أن رأيت تلك المرأة فى المحكمة . كيف استطاع أن يلتقط مخلوقة كهذه ويجعلها تكتب إليه بعد أن ..

رجنالد : هل هذا عدل ؟ أنا ما فعلت أبدا ..

هوتشكس : بالطبع لم تفعل يا رجى . لا تكن غبيا . ليو ، إنه أنا فى الحقيقة ذو الذوق المنحط .

ليو : أنت ؟

هوتشكس : لقد وقعت فى حب زوجة تاجر فحم . أنا أعبدها . أفضل رباط حذائها على خصلة من شعرك (**يطوى ذراعيه ويقف راسخا كالصخرة**) .

رجنالد : أيها الوغد اللعين ، كيف تجرؤ على نبذ زوجتى هكذا فى وجهى ؟ (**يبدو على وشك الهجوم على هوتشكس فتفصل بينهما ليو وتسحب رجنالد بعيدا ناحية باب المكتب**)

ليو : لا تعره أى انتباه يا رجى . اذهب حالا والغ هذا الحكم الكريه أو افسخه أو أى شىء . قل لسير جوريل بارنز إننى غيرت رأيى (**تخاطب هوتشكس**) كان ينبغى أن أدرك أنك أذكى من أن تكون جنتلمان (**تأخذ رجنالد بعيدا إلى البوريه حيث تجسه . رجنالد يضحك . يعود هوتشكس إلى كرسيه متجهما**) .

الأسقف : يبدو أن جميع المشاكل تحل نفسها بنفسها .

لزبيا : فيما عدا مشكلتى .

الجنرال : ولكنك ترين ما حدث هنا اليوم يا عزيزتى لزبيا (**يقترب قليلا ويحنى وجهه تجاهها**) والآن أوجه إليك سؤالا : ألا يريك هذا حماقة عدم الزواج ؟

لزبيا : لا (**تقف**) لقد عدت إلى التدخين .

الجنرال : أنت تدفعيننى إلى ذلك بالزبيا . لا أستطيع أن أقاوم .

لزبيا : (**تقف خلف الكرسى الذى كانت تجلس عليه ويداها على ظهره وتبدو رائعة**) لن أوبخك اليوم . فأنا أشعر الآن بالمرح والبهجة .

الجنرال : هل أستطيع أن أسأل عن السبب يالزبيا ؟

لزبيا : (**تجذب نفساً عميقاً**) بعد كل الأخطار التى تعرضت لها هذا الصباح ، ما زلت كما أنا لم أتزوج ! ما زلت مستقلة ! ما زلت سيدة نفسى ! ما زلت عانساً عجوزاً رائعة صلبة الرأى أنتمى إلى إنجلترا العجوز !

(**يقفز سومز صامتا ويخطو خطوة واسعة حيث يجلس عند المائدة ليسلم عليها عبر المائدة**) .

الجنرال : هل تجدين أية سعادة حقة فى أن تكونى سيدة نفسك ؟ ألا يكون أكرم .. ألا تكونين أسعد ، كسيدة[١] شخص آخر .

لزبيا : بوكسر !

---

(١) الكلمة الإنجليزية هنا هى Mistress وهى ذات معنيين ، سيدة ، أى مؤنث Master بمعنى السيادة ، ومعناها الآخر عشيقة .

الجنرال : (**يقف مرتاعا**) لا لا يا عزيزتى لزبيا . لابد أن تعلمى أننى لم أكن أستعمل الكلمة بمعناها المستهجن . أنا سيئ الحظ أحيانا فى اختيارى للألفاظ . ولكنك تعرفين ما أعنى . أنا متأكد أنك ستكونين أسعد كزوجتى .

لزبيا : أعتقد ذلك ، ولكن بطريقة شائكة معقدة . وأنا أفضل كرامتى واستقلالى . هذا التحرق إلى السعادة يبدو لى وقحا .

الجنرال : إذن فلن أسألك مرة أخرى يا لزبيا (**يجلس غاضبا**)

لزبيا : بل ستسألنى يا بوكسر . ولكن دون جدوى (**تجلس هى الأخرى وتضع يدها على يده فى شىء من المحبة**) أرجو أن أتمكن يوما ما من أن أجعل منك صديقا . وعندئذ سنكون على خير وئام .

الجنرال : (**يقفز ثانية**) ها ! أعتقد أنك جامدة يا لزبيا . سأجعل من نفسى أضحوكة إن بقيت هنا . آليس : سأذهب إلى الحديقة لحظة .

كولنز : (**يبدو عند البرج**) كل شىء تمام الآن يا سيدتى .

الجنرال : (**يتجه إليه**) على فكرة . هل تتكرم بـ ..

(**يهمس إليه ببقية الجملة فلا تسمع**)

كولنز : بالتأكيد يا جنرال (**يخرج كيس تبغ ويعطيه للجنرال ، فيأخذه ويذهب إلى الحديقة**) .

لزبيا : لا أعتقد أن فى إنجلترا رجلا يحب زوجته بإخلاص كما يحب غليونه .

الأسقف : على فكرة ، ماذا حدث لحظة الزفاف ؟

سايكس : لا أدرى . لم يكن فى الكنيسة أحد عندما تزوجنا سوى أحد الخدم ونائب القسيس الذى أدى المهمة .

إيدث : كانوا قد انصرفوا جميعا .

مسز بردجنورث : ووصيفات الشرف ؟

كولنز : استأجرت أنا وحامل الصولجان سيارتى تاكسى يا سيدتى ، وجبنا أنحاء البلدة فجمعناهن كلهن . شعرن جميعا بخيبة الأمل بسبب ملابسهن ، ورأين فى ذلك شذوذا ، ولكنهن وافقن على حضور طعام الفطور . والحق أنهن جميعا يقتلهن الفضول ليعرفن كيف حدث كل هذا . وقد ظل عازف الأرغن يعزف حتى كاد الأرغن أن يفسد ، وحتى أصبح هو فى حالة أسوأ من الأرغن . وقد طلب منى بنوع خاص أن أبلغك يا سيدى اللورد أنه أخر عزف مقطوعة مندلسون إلى آخر لحظة . ولكن عندما انتهى من عزفها رأى أن يذهب . فعزف السلام الملكى وبارح الكنيسة . وسيأتى إلى الفطور(١) ليشرح كل شىء .

ليو : أرجوك أن تتذكر يا كولنز أنه لا صحة إطلاقا للشائعة التى تقول إننى انفصلت عن زوجى ، أو أنه يوجد ، أو كان يوجد أى شىء بينى وبين مستر هوتشكس .

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى . هذا واضح جدا (**يخاطب مسز بردجنورث**) هل تستقبلين المدعوين هنا أم فى

البهو يا سيدتى ؟

مسز بردجنورث : بل فى البهو . ألفرد : اذهب أنت وبوكسر إلى البهو واستعدا لشغل أول القادمين بالتحدث معهم إلى أنِ نحضر . لا بد أن نساعد إيدث على ارتداء ملابسها . هيا يا لزبيا . تعالى يا كليو . لا بد أن نساعد جميعا . هيا يا إيدث (**لزبيا وليو وإيدث يخرجن من البرج**) كولنز . سنحتاج إليك عندما تنتهى مس إيدث من ارتداء ملابسها لكى تلقى نظرة على نقابها وغير ذلك ، لترى أن كل شىء على ما يرام .

كولنز : نعم يا سيدتى . أما من شىء عن مس لزبيا يا سيدتى ؟

مسز بردجنورث : لا . إنها لن تتزوج الجنرال ، أظن تلك مسألة منتهية .

كولنز : خسارة ! سيدة رائعة تضيع هكذا يا سيدتى (**يهزان رأسيهما فى أسى . تخرج مسز بردجنورث من باب البرج**) .

الأسقف : أنا ذاهب إلى البهو يا كولنز لأكون فى استقبال المدعوين . رجى : اذهب وأخبر بوكسر ، ثم ائتيا معا لتساعدانى فى التحدث مع المدعوين . هيا يا سسيل (**يخرج من بابل البرج ، يتبعه سايكس**) .

رجنالد : (**يخاطب هوتشكس**) لطالما تشدقت بأنك تتصرف كجنتلمان . فإذا كنت تحسب أنك تصرفت مع ليو كجنتلمان فأنت مخطىء ، وسأكون أنا فى صفها ، فاذكر هذا .

هوتشكس : فاهم . لقد أغلق بابكم فى وجهى .

رجنالد : (**بسرعة**) أوه لا . لا تتسرع ، أظن أننى أود أن تأتى لزيارتنا بعد فترة من الزمن . فإنها تغضب وتستاء إذا لم يكن بالبيت أحد يبعث فيه الحياة قليلا .

هوتشكس : سأبذل ما فى وسعى .

رجنالد : (**فى ارتياح**) لا مانع لديك ، هه ؟

هوتشكس : إنه القدر . لقد أمسكت يداى بالفحم ويداى سوداوان ، ولكنهما نظيفتان . إلى اللقاء يا رجى (**يتصافحان . يذهب رجنالد إلى الحديقة ليبحث عن بوكسر**) .

كولنز : أرجو المعذرة يا سيدى ، هل تبقى لتناول الفطور ؟ اسمك فى القائمة ، وأحب أن أغيره إذا كنت لن تبقى .

هوتشكس : أنى لى أن أعلم ؟ هل مصيرى فى يدى بعد اليوم ؟ اذهب : سلها هى التى يجب أن تطاع .

كولنز : (**مرتاعا**) هل أعجبت بك مسز جورج يا سيدى ؟

هوتشكس : ليتها فعلت ! الأمر أسوأ من هذا يا رجل ، أسوأ بكثير . لقد أعجبت أنا بمسز جورج .

كولنز : لا تيأس يا سيدى ، إذا ارتاح جورج إلى حديثك ، وجدت بيتهما لطيفا للغاية ، أكثر حيوية من بيت مسز رجنالد .

هوتشكس : (**ينادى**) بوللى .

كولنز : (**على الفور**) أوه ، ما دام الأمر قد وصل إلى حد

مناداتها بيوللى يا سيدى ، فلا بد أنك على ما يرام .

(**تظهر مسز جورج فى باب المكتب**)

هوتشكس : يريد أخو زوجك أن يعرف ما إذا كنت سأبقى لتناول الفطور أم لا . أجيبيه .

مسز جورج : سيبقى يا بل ، إن هو أحسن سلوكه .

هوتشكس : (**مخاطبا كولنز**) هل تسمح لى ، كصديق للأسرة ، أن أناديك بل ؟

كولنز : بكل سرور يا سيدى .

هوتشكس : فى أسرتى ينادوننى باسم صنى .

مسز جورج : لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟ صنى هو الاسم الذى أردته لك . (**تربت خده فى مودة ، فيقف فجأة ويتجه نحو المدفأة حيث يرتمى فى الكرسى ذى القضبان متجهما**) بل : لن أذهب إلى البهو إلا بعد أن يأتى عدد كاف من الناس . أرسل لى حامل الصولجان فى الوقت المناسب .

كولنز : كما تشائين يا سيدتى (**يخرج من باب البرج**)

(**مسز جورج وحدها الآن مع هوتشكس وسومز ، فجأة تضع يديها على كتفى سومز وتنحنى فوقه**) .

مسز جورج : طلب منى الأسقف أن أغويك يا آنتونى .

سومز : (**دون أن يلتفت حوله**) يا امرأة : اذهبى عنى .

مسز جورج : آنتونى : عندما تروى شفاه وقلوب أخرى حكاية حبها .

هوتشكس : (**مستهزئا**) فى لغة تشى قوتها بفرط ما تحس به .

مسز جورج : وإذا كانت القلوب الجو فارتدى قناعا ، فإن قلبك يتحطم إذ يرى أن كل ما أطلبه فى لحظة كهذه هو أن تذكرنى . وأنت ستفعل يا آنتونى . سأسلط عليك سحرى .

سومز : هل تظنين أن رجلا رتل أنشودة العذراء البتول ، وقدس ملكة السموات ، يعير أذنيه تفاهة كهذه ، أو تستهوى عينيه تفاهة مثلك . هذا باستثناء وجود روحك الصغيرة المسكينة ؟ اذهبى إلى بيتك وواجباتك يا امرأة .

مسز جورج : (**تجذب ثيابه وجلده**) آنتونى : أنا أتخذك أبا لى .. هكذا يكون الحديث ! أرنى رجلا لا تتوقف حياته كلها على امرأة حقيرة فى الشارع المجاور ، ولن أدعه يفلت أبدا .

(**تصفعه على ظهره فى سرور**)

سومز : فى هذا الكفاية . أمامك رجل آخر لتحدثيه . أنا مشغول .

مسز جورج : (**تترك سومز وتتقدم خطوة أو اثنتين بالقرب من هوتشكس**) لماذا لست مثله يا صنى ؟ لماذا تتمسك بامرأة صغيرة فى الشارع المجاور ؟

هوتشكس : (**بتفكير**) يجب أن أعتذر إلى بيلليتر .

مسز جورج : من هو بيلليتر ؟

هوتشكس : رجل يأكل مهلبية الأرز بالملعقة . أنا آكل مهلبية الأرز بالملعقة منذ رأيتك أول مرة (**يقف**) كلنا نأكل مهلبية الأرز بالملعقة ، أليس كذلك يا سومز ؟

سومز : نحن جميعا سواسية . لا حاجة بك إلى الرجوع إلى . أولا : أنا مشغول . ثانيا : تجد كل شيء فى تعاليم الكنيسة ، وهى تحوى معظم الاكتشافات الحديثة التى يزخر بها عصرنا . سيذهب إلى نفس الجنة إن أحسن ، وإلى نفس النار إن أساء .

مسز جورج : (**تجلس**) وكذلك زوجى تاجر الفحم .

هوتشكس : إذا كنت أنا أعلى مقاما من زوجك هنا ، فلا بد أن أكون أعلى منه مقاما فى الجنة أو النار . المساواة أعمق جذورا من هذا . فأنا وتاجر الفحم نحب امرأة واحدة . وبالنسبة لى ، يضع هذا حدا للمسألة كلها إلى الأبد (**يعبر المطبخ نحو باب الحديقة مستغرقا فى التفكير**) .

سومز : هاه !

مسز جورج : أنت لا تؤمن بالنساء يا آنتونى ، أليس كذلك ؟ أنت لا تبالى إذا قال إنه هو وجورج يحبان السمك المقلى .

هوتشكس : أنا لا أحب السمك المقلى . لا داعى للإسفاف يا بوللى .

سومز : يا امرأة : لا تتجرئى على اتهامى بعدم الإيمان . وأنت يا هوتشكس ، ألا تمقت نفس هذه المرأة لأنها تتحدث عن السمك المقلى ؟ إن بعض ضحايا معجزة قحط السمك كانوا مقليين . وأنا آكل السمك المقلى كل يوم جمعة وأحبه . أنت كالعهد بك قنزوج لا شك فيه .

هوتشكس : (**وقد نفد صبره**) يا عزيزى آنتونى : أراك سخيفا كواعظ ، لأنك تحيلنى دائما إلى أماكن ووثائق

وحوادث تزعم وقوعها ، وأنا فى الحقيقة لا أومن بشىء منها . أنا لا أومن إلا بإرادتى وكبريائى وشرفى . إن أسماكك وتعليماتك وكل ماعدا هذا تؤلف قصيدة جميلة تسميها أنت إيمانك . تناسبك تماما ولكنها لا تناسبنى . ذلك لأننى ، كنابليون ؛ أفضل الإسلام[١] (**تنظر مسز جورج إليه نظرة ارتياب سريعة لأن الإسلام فى نظرها مقترن بتعدد الزوجات**) أنا أعتقد أن الإمبراطورية البريطانية بأسرها ستعتنق نوعا معدلا من الإسلام قبل انتهاء القرن . إن شخصية محمد حبيبة إلى نفسى . أنا معجب به ، وأشاطره آراءه فى الحياة إلى حد كبير . وفى ذلك هزيمة لك يا سومز . الدين قوة كبرى ، القوة الدافعة الحقة الوحيدة فى العالم . ولكن الأمر الذى تعجزون أنتم أيها الناس عن إدراكه ، هو أنه ينبغى أن تنالوا مقصدكم من الرجل عن طريق دينه هو لا دينكم أنتم . وبدلا من أن تواجهوا هذه الحقيقة ، تصرون على محاولة ضم الناس جميعا إلى طائفتكم الصغيرة ، حتى تستطيعوا أن تستخدموها ضدهم فيما بعد . أنتم جميعا رجال تبشير ، تحاولون اقتلاع دين جاركم وإحلال دينكم

---

(١) الكلمة التى استعملها شو هنا هى **Mohametanism** والمقصود بها الدين الإسلامى ، لأن معظم الغربيين ينسبون الإسلام إلى نبيه محمد ، كما ينسبون المسيحية إلى المسيح . (المترجم)

محله . وإنكم لتفضلون أن يهلك الطفل جهلا على أن يتلقى العلم من أبناء طائفة منافسة . أنت تحدثنى عن روح المساواة بين تجار الفحم والضباط البريطانيين ، ومع ذلك فأنت لا تستطيع أن تدرك روح المساواة بين جميع الأديان . من أنت ، على أية حال . حتى تكون أكثر علما من محمد أو كونفو شيوس أو غيرهما ممن دأبوا على هذا العمل منذ أن وجد الكون ؟ .

مسز جورج : (**معجبة بفصاحته**) سيحبك جورج يا صنى . لابد أن تسمعه وهو يتحدث عن الكنيسة .

سومز : إذن فاذهبا إلى حتفكما أنتما الاثنين . لا يوجد إلا دين واحد لى ، ذلك الذى تعرف نفسى أنه حق . ومع ذلك فحتى من لا يؤمن بالأديان يؤمن بعقيدة واحدة ، ألا وهى قدسية الزواج . أنتما الأثنان على وشك ارتكاب خطيئة لا تغتفر . هل تنكران هذا ؟

هوتشكس : أنت تنسى يا آنتونى أن الزواج نفسه هو الخطيئة التى لا تغتفر فى رأيك .

سومز : ليست المسألة الآن ما أومن به أنا ، بل ما تؤمنان به أنتما . عاهدنى على ترك هذه المرأة إن كانت لديك القوة والهداية . أما إن كنت ما زلت فى قبضة هذه الدنيا ، فاحترم نظمها على الأقل . هل تؤمن بالزواج أم لا ؟

هوتشكس : نفسى متحررة تماما من مثل هذه الخزعبلات . أنا أعلن جادا غير حانث أنه ليس ثمة بين هذه المرأة — كما تسميها

أنت فى قلة أدب — وبينى ما يحول دون احترام ضميرى لها . أنا أمقت بكل غرائزى الزواج وما فيه من قيم أخلاقية عند الطبقات الوسطى . ولو كنت مركيزاً يعيش فى القرن الثامن عشر ، لما شعرت بمزيد من الحرية مع زوجة أحد المواطنين فى باريس عما أشعر به مع بوللى . أنا أمقت كل مايمت بصلة إلى مسألة الطهر العائلى هذه وأراها أحط دركات السفالة وأكثرها أنانية وضيق أفق ، أراها شهوة جسدية ، واختطافا للزوجة .

مسز جورج : (**تقف مسرعة**) هكذا ! إذن فلن تأتى معى إلى البيت أيها الشاب . أنا متأسفة . إنه لأمر طريف حقا أن ألتقى ولو مرة واحدة فى حياتى برجل لم يفزعه خاتم زواجى . ولكننى أبغى صديقا وليس مركيزا فرنسيا . ولهذا فلن تأتى معى إلى البيت .

هوتشكس : (**فى عناد**) بل سآتى .

مسز جورج : لا ..

هوتشكس : نعم . فكرى ثانية . أنت تعرفين محيطك جيدا على ما أظن ، المحيط الذى تجولين فيه والذى يضم صغار التجار . أنت تعرفين كل فضائحه ونفاقه وأحقاده وخصوماته ، والمئات من حالات الطلاق التى لا تعرض أبدا على المحاكم ، وكذلك العشرات من تلك الحالات التى تعرض على المحاكم .

مسز جورج : لسنا ملائكة . أنا أعرف فضائح قليلة . إلا أن معظمنا

من الغباء بحيث لا يمكن أن نكون إلا طيبين .

هوتشكس : إذن لابد أن تكونى قد لاحظت أن جميع القتلة يبدون مسيحيين مخلصين إذا حكمنا بأقوالهم المهذبة على المشنقة ، شأنهم فى ذلك شأن الإباحيين جميعا — رجالا ونساء — الذين هم قوم تفيض نفوسهم بعواطف عائلية رقيقة ويجهرون باحترام تقاليد ينتهكونها فى السر .

مسز جورج : هل تريد أن يفشوا أسرارهم ؟

هوتشكس : إنهم قوم ذوو عاطفة وليسوا ذوى شرف . أما أنا فلست ذا عاطفة ولكننى ذو شرف . أنا أعلم جيداً ما سيحدث لى بمجرد أن أتخطى عتبة بيت زوجك وأقاسمه خبزه . عندئذ ، سأحترم رابطة الزواج هذه التى أمقتها احتراما لا يصدر أبدا عمن يؤمنون بالزواج ، وعمن يجدون أحسن متعة لهم فى الذهاب إلى المسارح حيث يضحكون على الرابطة الزوجية . سومز : أنت شيوعى ، أليس كذلك ؟

سومز : أنا مسيحى . وهذا يضطرنى إلى أن أكون شيوعيا .

هوتشكس : وأنت تعتقد أن هنرى الثامن سرق كثيرا من أراضينا وضياعنا من الكنيسة ؟

سومز : ليس مجرد اعتقاد ، فإننى أعرف ذلك بوصفى محاميا .

هوتشكس : هل تسرق ثمرة لفت من أحد أصحاب هذه الأرض المسروقة ؟

سومز : (يتقى الإجابة) لا حق لهم فى أراضيهم .

هوتشكس : ليس هذا هو سؤالى . هل تسرق ثمرة لفت من أحد هذه الحقول التى لا حق لهم فيها ؟

سومز : أنا لا أحب اللفت .

هوتشكس : ما دمت محاميا فأجبنى .

سومز : أنا أقر بأننى قد لا أفعل هذا . ربما أكون مخطئا إن لم أسرق ثمرة اللفت ، فأنا لا أستطيع أن أدافع عن إحجامى عن سرقتها . ولكن ينبغى ألا أفعل هذا . أنا أعلم أنه ينبغى ألا أفعل هذا .

هوتشكس : ولا أنا أستطيع أن أسرق زوجة جورج . لقد مددت يدى من قبل إلى هذه الفاكهة المحرمة ، وأنا أعرف أن يدى سترتد دائما فارغة . إن عدم الإيمان بالزواج أمر هين ، وعشق امرأة متزوجة أمر هين ، أما أن تخون رفيقا ، أن تخون ثقة مضيف ، أن تخون الخبز والملح ، فذلك مستحيل . تستطيعين أن تأخذينى معك إلى البيت يا بوللى ، لا تخشى شيئا .

مسز جورج : ولا رجاء لك فى شىء ؟

هوتشكس : ما دمت قد صغت السؤال بهذا الشكل المتناهى فى الرقة يا بوللى ، فالجواب هو : لا شىء مطلقا .

مسز جورج : أنت تظن ، كما يظن معظم الرجال . أنك تعرف كل ما تريده المرأة . ولكن الشىء الذى تريده المرأة أكثر من غيره لا علاقة له بالزواج أبدا . لعل آنتونى لديه فكره عنه . هه ، آنتونى ؟

سومز : الزمالة المسيحية ؟

مسز جورج : أهذه تسميتك له ؟

سومز : ماذا تسمينه أنت ؟

كولنز : (**يظهر فى باب البرج مع حامل الصولجان**) بوللى ، لقد امتلأ البهو والناس فى انتظارك .

حامل الصولجان : أفسحوا الطريق من فضلكم يا سادة . أفسحوا الطريق لصاحبة العصمة العمدة . من فضلكم سيداتى وسادتى . إذا سمحتم سيداتى وسادتى : أفسحوا الطريق للعمدة .

(مسز جورج تأخذ ذراع هوتشكس وتخرج يسبقها حامل الصولجان)

(سومز يستأنف الكتابة فى هدوء)

ستار الختام



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكر الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر إبريل 2020 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

مكتبة الفنون الدرامية

١ ـ الأحرار ـ سدنى كنجزلى ·
٢ ـ الرجل العجوز ـ مكسيم جوركى ·
٥ ـ قطة على سطح من الصفيح الساخن ـ تنيسى وليمز ·
٦ ـ الشائعة ـ تشارلز مونرو ·
٧ ـ عيوب التأليف المسرحى ـ ولتر كير ·
٨ ـ ثلاث تمثيليات للتليفزيون ـ بادى تشايفسكى
٩ ـ مسرحية فى القصر ـ فيربنك مولنار ·
١٠ ـ الأب ومس چوليا ـ أوجست سترندبرج ·
١٢ ـ الزواج ـ چورچ برنارد شو ·
١٣ ـ الحارس ـ هارولد بنتر ·
١٤ ـ ميراث الريح ـ چيروم لورنس ، روبرت لى ·
١٦ ـ البطة البرية ـ هنريك أبسن ·
١٧ ـ الحضيض ـ ماكسيم جوركى ·
١٨ ـ السينما آلة وفن ـ ألبرت فولتون ·
١٩ ـ الابن الضال ـ چاك رتشاردسون ·
٢٠ ـ راشومون ـ ريونوسوكى أكوتاجاو ·
٢١ ـ الآلة البشرية ـ صوفى تردويل ·
٢٢ ـ أبسن النرويجى ـ ميوريل برادبروك ·
٢٣ ـ كلهم أبنائى ـ آرثر ملر ·

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه